رسالة اليونسكو

أبريل – يونيو 2017

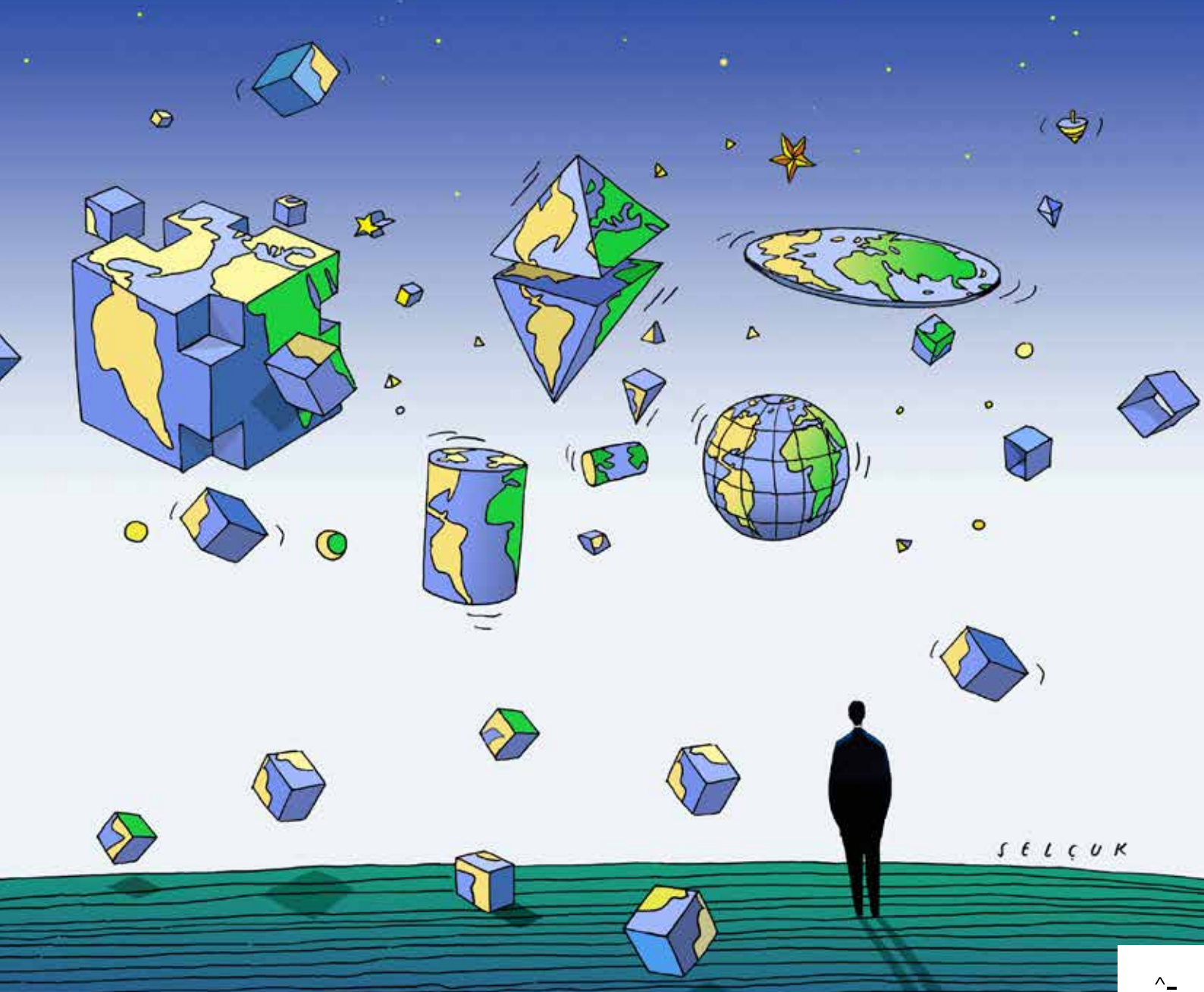

تحدّيات 2030: جدول أعمال للجميع

منظمة الأمم المتحدة
لتربية والعلم والثقافة

ISSN 2220-3540
9 772220 354065 01701

شارك في هذا العدد:

في هذا العدد

منذ ما يقرب عن السبعين سنة، تُمثّل «رسالة اليونسكو» أرضية للحوارات الدولية حول المواضيع التي تشغل العالم بأسره. ولن يكون هذا العدد الأول لسنة 2017، الذي يُسجّل عودتها بعد احتجاب دام خمس سنوات، مخالفا للقاعدة : خبراء، وشخصيات سياسية، وفنانون وصحفيون، أتوا من كل أنحاء العالم، ليلتقوا فيه حول مواضيع أحداث الساعة الحارقة.

التغيّرات المناخية والطاقة الخضراء [ص.23]، مستقبل المدن والمدن الذكية [ص. 15]، النفاذ إلى الماء ووضعية طبقات المياه الجوفية [ص. 19]، السياسات التربوية ومكانة الفتيات فيها [ص.8]، التكنولوجيات الحديثة ودورها في تركيز المؤسسات الديمقراطية الفاعلة [ص.27]، التحالفات والشراكات التي يجب تركيزها للتقدم نحو عالم أفضل [ص. 31]، تلك هي، باختصار، المواضيع التي يتمحور حولها الملف الأساسي لهذا العدد المُخصّص لأهداف التنمية المستدامة.

وتشارك اليونسكو بشكل فعّال في بلورة وتنفيذ خارطة الطريق العالمية التي ستُمكّننا، في أفق سنة 2030، من تحقيق الأهداف السبعة عشر التي حدّدتها منظمة الأمم المتحدة، يقينا منها بأن الثقافة، رغم غيابها ظاهريا من تلك الأهداف، مزروعة في قلب سياسات التنمية المستدامة [ص. 12].

«إليكس»، تلك الشخصية المرحة التي ابتكرها ياسين آيت قاسي [ياك] والتي أصبحت السفير الافتراضي لمنظمة الأمم المتحدة، ستُرافق «رسالة اليونسكو» في بلورة عدة حقائق عبر العالم التي من شأنها أن تجعل من أهداف التنمية المستدامة واقعا ملموسا، وتُبرز الأطراف الفاعلة المشاركة في تنفيذ الأجندة للجميع : المجموعة الدولية، والدول، والمجتمع المدني، والمجموعات والسلطات المحلّية، والقطاع الخاص، وكذلك التشارك الذي يتأسس بينها.

أما باب «أفكار» المخصّص لموضوع مُتّصل بأحداث الساعة: «مفهوم الإسلام اليوم»، فهو يدعو إلى الاهتمام بإعادة قراءة القرآن والشريعة بطريقة أخرى [ص.42 و ص.48]، كما يتيح اكتشاف مُؤلَّف مرجعي حول «مختلف جوانب الثقافة الإسلامية». هذا المُؤلَّف الجماعي الصادر عن منشورات اليونسكو، والذي تمّ الشروع في إنجازه سنة 1977 في إطار عمل عملاق حول التواريخ العامة والإقليمية، رأى النور في نوفمبر 2016، في جزأين يُمثّلان مساهمة هامّة في الحوار الدائر حاليا حول الإسلام.

وبخصوص أحداث الفترة الواقعة بين أبريل ويونيو 2017، تكون «رسالة اليونسكو» في الموعد يوم 23 أبريل بكوناكري [ص.70] لمرافقة بعث برنامج العاصمة العالمية للكتاب، وتتابع يوم 30 أبريل في هافانا اليوم العالمي لموسيقى الجاز مع عازف البيانو الكوبي شوشو فالديز [ص.58]. كما تشارك المجلّة في إحياء العديد من الأيام الدولية، المُخصّصة لحرية الصحافة يوم 3 مايو [ص.62] وللمحيطات يوم 8 يونيو [ص.65]، وللقضاء على العنف الجنسي زمن النزاعات يوم 19 يونيو [ص.62].

و ندعوكم في هذا العدد من «رسالة اليونسكو» إلى التعرف أكثر على ضيفنا الفادي ساحر الصحراء [ص. 52] و في باب «زوم»، إلى الغوص في عالم فريد ومجهول إلى حدّ الآن، عالم «الهينيو» في جزيرة جيجو بجمهورية كوريا، وإلى اكتشاف الواقع الاستثنائي الذي تعيشه نساء رائعات، عبر صور جذّابة [ص. 36].

قراءة ممتعة للجميع !

العدد 1 / 2017
تصدر منذ 1948

تصدر **رسالة اليونسكو** فصليا بسبع لغات، عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. هدفها التعريف بالمثل العليا للمنظمة من خلال نشر تبادل الأفكار حول مواضيع ذات بُعد دولي ومتعلقة بالمهام الموكولة إليها.

تصدر رسالة اليونسكو بفضل الدعم السخيّ الذي توفّره جمهورية الصّين الشعبية.

المدير المسؤول: إيريك فالت
المدير المنفذ: فانسان دي فورني
مديرة التحرير: ياسمينة شوبوفا
مدير الإنتاج والترويج : إيان دنيسون
أمينة التحرير: كاترينا مركيلوفا
محرّرة النسخة الإلكترونية: مالاهات إبراهيموفا

محرّرات اللّغات:
- **الإنجليزية:** شراز سيدهفا
- **العربية:** أنيسة البرّاق
- **الصينية**: سياوماي وانغ
- **الإسبانية:** لوسيا إغليسياس
- **الفرنسية**: إيزابال موتشان برون
- **البرتغالية**: آنا لوشيا غيمارايس
- **الروسية**: مارينا يالويان

الترجمة: فرانسواز أرنو ديمير
إخراج الصور: دانيكا بيجلجاك
التصميم: أبجاد ديزاين
الطباعة: اليونسكو

الإشتراك بالنسخة الإلكترونية مجاني
http://ar.unesco.org/courier

الإرشادات وحقوق إعادة النشر:
courier@unesco.org

7, place de Fontenoy, 75352 Paris 07 SP, France
© UNESCO 2017
ISSN 2220-3540
eISSN 2220-3559

مجلة فصلية حرّة الإقتناء، بترخيص من **Attribution-ShareAlike** 3.0 **IGO** [**CC-BY-SA**] [**http://creativecommons.org/licenses/by-sa/3.0/igo**/3.0] [**IGO**]
يعترف مستعملي محتويات المجلة بقبولهم شروط الإستعمال المنصوص عليها في نظام التوثيق المفتوح لليونسكو/http://ar.unesco.org/open-access

يطبق هذا الترخيص حصريّا عل استعمال النصوص. بالنسبة لاستعمال الصور، من الضروري توجيه طلب إلى اليونسكو للحصول على ترخيص مسبق.

إن التسميات وطريقة تصميم المعطيات الواردة في هذه النشرية لا تعبّر عن أي موقف لمنظمة اليونسكو حول الوضع القانوني للدول، وللأراضي، وللمدن والمناطق، أو حول الهيئات الحاكمة، أو الحدود المرسومة.

تعبّر المقالات الواردة في هذه النشرية عن أفكار وآراء مؤلّفيها، وهي ليست بالضرورة آراء منظمة اليونسكو ولا تلزمها بأي شكل من الأشكال.

صورة الغلاف: © Selçuk

محتويات

زاوية كبرى
بينغ ليوان : «تكافؤ الفرص مبدأ أساسي» 8
أجرت الحوار ياسمينا شوبوفا
الثقافة في صميم أهداف التنمية المستدامة 12
يوتي هوسهرغار
جيل جديد من المقاولين الأفارقة 15
أيوكو منساه
أزمة المياه في أنغكور 19
شامرون سوك
أمينة غريب فقيم:«العلوم مفتاح التقدّم الإجتماعي» 23
أجرت الحوار إيزابال موتشان برون
نِمر رقمي في ربوع البلطيق 27
ماري رونيما
شراكات مبتكرة لديناميكية جديدة 31
شراز سيدهفا

زوم
«الهاينيو»، أساطير حيّة في جزيرة جيجو 37
نص: كاترينا ماركيلوفا، صور: هيونغ سان كيم ومتحف هاينيو

أفكار
القرآن، بين النّص والسّياق 43
محمود حسين
ما لا تنطوي عليه الشريعة 48
علي بن مخلوف
مُؤلّف مرجعي 50
ناهد أفروس كبير

ضيف العدد
الفادي يرفعُ رايةَ الإبداع الإفريقي 53
أجرت الحوار ياسمينا شوبوفا

أخبار
عازف البيانو شوشو فالديز: 59
«الجاز، موسيقى بلا حدود»
أجرت الحوار لوسيا اغليزياس كونتز
أنظر إليّ، فأنا جميلة! 61
تكوين القضاة عن طريق الإنترنت لحماية الصحفيين 62
روزنتال كالمون ألفيز
كشفا عن أسرار المحيطات 65
شين تاني
حتّى يصبح الكتاب في متناول الجميع 70
كومانتيو زينب ديالو

مقتطفات
الرياضة في خدمة السّلام 72
درء التطرّف في صفوف الشباب 72
«ميل كليكس!» : حتّى لا نفقد ذكاءنا 73
زيارة شعب بحيرة الدب العظيم 74
الموارد التربوية الحرّة تنتشر 74

الافتتاحية

« دوران »، عمّان، الأردن، 2016.

© Pejac

إيرينا بوكوفا، المديرة العامة لمنظمة اليونسكو.
© Yulian Donov

منذ نشأتها سنة 1948، تروّج مجلّة «رسالة اليونسكو» في جميع أنحاء العالم المثالَ الأعلى لإنسانية مجتمِعة بتنوعّها و متّحِدة حول القِيم العالمية والحقوق الأساسية، إنسانيةٌ تستمدّ قوّتَها من غِنى ثقافاتها، ومعارفها، وإنجازاتها.

و «رسالة اليونسكو» هي عنصر هام من العناصر المكوّنة لهوية المنظمة وهي أداة متميّزة للقيام بالمهام الإنسانية الموكولة إليها. و في عام 1988، صرّح ساندي كوفلير، مؤسّس المجلة ورئيس تحريرها آنذاك قائلا: «من بين مُجمل المجلّات الدورية الصادرة عن الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصّة، تبقى «رسالة اليونسكو» في المرتبة الأولى من حيث عدد قرّائها وتنوّع جمهورها». وتُجسّد المجلة، منذ سبعين عاما وعبر القارات جميعها، مهمّة اليونسكو المتمثّلة في بناء مفهوم السلام في عقول الرجال والنساء، من خلال نشر المعارف والثقافات، والتدفّق الحر للأفكار والمعلومات عن طريق الكلمة والصورة، لتعزيز التفاهم، وعقلية التسامح، والنقاش المستنير، والسلام. إنّ معنى صدور هذه المجلة التاريخية من جديد في عام 2017، بفضل الدعم السخيّ الذي وفّرته جمهورية الصِّين الشعبية، لا ينحصر في مواصلة مسار تاريخي على المستوى التحريري البحت، بل هو فرصة متميّزة لتجديد تعلّقنا بالقيم التي ترتكز عليها المجلة منذ تأسيسها.

ويأتي هذا العدد من «رسالة اليونسكو» الذي تُبعث به المجلّة من جديد، في الوقت المناسب لا سيما وأنّه يندرج في إطار خطة التنمية المستدامة لعام 2030 التي اعتمدتها الأمم المتحدة في سبتمبر 2015. وتمثل هذه الخطة تحوّلا في سياسات التنمية العالمية في بعدها الإنساني، إذ تعوّل على قدرة الشعوب على مواجهة تحديات السلام والتغيّر المناخي عبر التعليم، والعلوم، والثقافة، كما هو وارد ضمن كل هدف من أهداف التنمية المستدامة.

ونحن مقتنعون بأنّه في عالم يعاني من المحدوية على صعيدي الموارد والإمكانيات، يمكن للبشرية أن تعتمد على الموارد المتجدّدة الكامنة في ذكائها وفي طاقاتها الإبداعية والإبتكارية. وتمثّل هذه الثروة التي تغذيها المقتضيات الأخلاقية المتّصلة باحترام حقوق وكرامة كل فرد، مصدرا لا متناهيا للتقدّم. ولتحرير هذه الطاقة الكامنة، علينا أيضا أن نساعد على التوعية بالثروة الإبداعية للبشرية، ويمكن لـ «رسالة اليونسكو» أن تسهم في ذلك من خلال نشر رسالة سلام وثقة وذكاء، ردّا على كلام الحقد والخوف والرفض الذي ينتشر اليوم بسهولة كبرى عبر شبكة الإنترنت كما في الشوارع. وتشكل مجلة «رسالة اليونسكو» أيضا أداة قوية لتحقيق هذه التطلعات الأساسية، وأتوجه اليوم بالدعوة إلى جميع الدول الأعضاء والشركاء وبشكل خاص إلى المفكرين، والفنانين، والخبراء، للتعبير عن آرائهم وتغذية صفحات هذه المجلة التي ألهمت أجيالا من القرّاء والتي ستظل تلهمهم على مدى سنوات طوال.

إيرينا بوكوفا

UNESCO
منظمة الأمم المتحدة
للتربية والعلم والثقافة
تنمية
مستدامة
الأهداف
4
التعليم الجيد
5
المساواة بين
الجنسين
6
المياه النظيفة
والنظافة الصحية
9
الإبتكار والهياكل
الأساسية
11
مدن ومجتمعات
مدنية مستدامة
13
العمل المناخي
14
الحياة تحت الماء
15
الحياة في البر
16
السلام والعدل
والمؤسسات القوية
UNESCO
ELYX

تحدّيات 2030 : جدول أعمال للجميع

اليونسكو وأهداف التنمية المستدامة

تُمثّل أهداف التنمية المستدامة، التي اعتمدتها الأمم المتحدة في سبتمبر 2015 ، جدول أعمال عالمي جديد، يهدف إلى تحسين ظروف العيش لشعوب العالم لغاية سنة 2030.

وتتّسم هذه الأهداف السبعة عشر بالطموح وبارتباط بعضها ببعض، وتجمع بينها محاور أساسية تتمثّل في الشمولية والاندماج والكونية، وهي العلامات التي يجب اتّباعها، لا من قبل الحكومات فحسب، بل وأيضا من قبل القطاع الخاص والمجتمع المدني وحتّى من قبل الأفراد، وذلك قصد المشاركة في هذا المشروع المُوحّد الذي يهدف إلى القضاء على الفقر وحماية الأرض وضمان الرفاهة للجميع.

وبِوصفها عضوا ناشطا في هذا التحالف الدولي، تُساهم اليونسكو بالخصوص في تطبيق تسعة من أهداف التنمية المستدامة، في مجالات يُعترف لها فيها بخبرتها وبريادتها. وبالرّغم من عدم وجود أي هدف منسوب خصّيصا للثقافة، فإن دور الثقافة مُعترف به كعامل أساسي في تطبيق جدول الأعمال بِرمّته.

واعتبارا لما تُمثّله خلفية القضاء على الفقر (الهدف 1)، والتقليص من التفاوت (الهدف 2)، وبالإعتماد على التشارك لتحقيق الأهداف (الهدف 17) ، تتولّى اليونسكو بالخصوص تنسيق جدول أعمال التربية 2030 الهادف إلى تأمين تربية جيدة شاملة وعادلة، وإلى تعزيز إمكانيات التعلّم للجميع مدى الحياة (الهدف 4).

كما تُكثّف اليونسكو جهودها من أجل المساواة بين الجنسين واستقلالية النساء والبنات (الهدف 5) في كافة برامجها، وذلك في ما يتعلق بفسح المجال أمامهن للتعلّم، وتشريكهن في أخذ القرار خاصّة في مجال العلوم، وتعزيز مكانة المرأة باعتبارها فاعلة في التحوّلات الاجتماعية، وبمناهضة العنف المُسلّط عليها.

وبفضل برامجها المخصّصة للبحوث حول التصرّف في الموارد المائية وحول دعم القدرات العلمية والتكنولوجية، تقوم المنظمة بتحسين ظروف الحصول على الماء الصالح للشراب بشكل مُؤمّن (الهدف 6)، وتُساهم في الاعتراف بالعلم والتكنولوجيا والتجديد باعتبارها عوامل ضرورية لتحقيق التنمية المُستدامة (الهدف 9). كما تقوم المنظمة بتطوير المعارف في علوم المحيطات وتُساهم في دعم القدرات على التصرّف في المحيط وفي السواحل (الهدف 14)، وتساند حماية التنوع البيولوجي واستغلاله بطريقة مستدامة، وكذلك بالنسبة للتصرف في الموارد الطبيعية، بفضل مواقع التراث العالمي ومخزون المحيط الحيوي بالخصوص (الهدف 15)، وتدعم المجهودات الرامية إلى التخفيف من وطأة التغيّرات المناخية وإلى التأقلم معها (الهدف 13).

وتشارك اليونسكو بشكل نشيط في خلق مدن شاملة وآمنة ومرنة، من خلال المحافظة على التراث الثقافي والطبيعي للإنسانية (الهدف 11). كما تُناضل من أجل تمكين الجميع من الوصول إلى المعلومة ومن أجل حماية الصحفيين وتعزيز الحوكمة الرشيدة ودولة القانون (الهدف 16).

بينغ ليوان :
«تكافؤ الفرص مبدأ أساسي»

تولي الصين عناية أولويّة لتعميم التعليم للجميع، سواء في إطار سياستها الوطنية أو في دعمها للتنمية على الصعيد الدولي. إن تحقيق المساواة في الفرص بين الجنسين، عند الولوج إلى المدرسة وفي طريقة المعاملة داخلها، وخلال مواصلة الدراسة أو عند الاندماج المهني، هو في صميم قناعات السيدة بينغ ليوان، السيدة الأولى لجمهورية الصين الشعبية، والمبعوثة الخاصة لليونسكو من أجل دعم تعليم الفتيات والنساء، وهي كذلك أستاذة.

أجرت الحوار ياسمينا شوبوفا

السيدة الأستاذة، إن تعهدك بالعمل لصالح المساواة بين الجنسين في مجال التربية أصبح اليوم محل تقدير واسع. متى بدأت العمل في هذا الميدان، وما الذي دفعك شخصيا للانخراط في هذا الاتجاه ؟

انخراطي في العمل من أجل التربية مرتبط وثيق الارتباط بوالدي. كانت التربية في المناطق الريفية في الصين مُتأخّرة جدا في منتصف القرن العشرين، وكانت الأمّية منتشرة، خاصّة لدى النساء. وكان والدي آنذاك مديرا للمدرسة الليلية في قريتنا الصغيرة، مكلفا بمحو الأمية، ومتفان في عمله. وبفضله، تعلم العديد من السكان الكتابة، وعلى أدنى تقدير كتابة أسمائهم، وأصبح بإمكانهم قراءة الصحف والكتب. وبعد الانتهاء من مزاولة الدروس، كانت الأمّهات تتولّين تعليم أبناءهن ما حفظنه من كلمات. تأثرت بوالدي إلى حد كبير عندما كنت طفلة. وازداد تقديري لتفانيه منذ أن أصبحت بدوري مُدرّسة وأمّا.

إن عدم المساواة بين الجنسين مسألة مُتجذّرة في العالم لحد الآن. ففي أماكن عديدة، لا زالت النساء ينتمين إلى الفئات الهشة : نسبتهن تُقدّر ب70% من مجموع السكان الفقراء، كما تمثل النساء حوالي ثلثي الأمّيين البالغين سن الرشد. ونسبة البنات تفوق نصف عدد الأطفال غير المُتمدرسين. وحيث أن النساء، في أغلب الأحيان، لا يملكن القدرة على التحكم في تسيير حياتهن بأنفسهن، فهن يتعرضن لكافة تقلبات الحياة. و لذلك، يطمحن أكثر من غيرهن إلى المساواة والاحترام. ولكل هذه الأسباب، أرغب في مد يد المساعدة من أجل تعليم الفتيات والنساء.

بوصفك المبعوثة الخاصة لليونسكو من أجل دعم تعليم الفتيات والنساء، ما هي أولى أولويّاتك؟ وما هي، حسب رأيك، أهم التغييرات الضرورية في مجال التربية، لضمان فرص متساوية للفتيات والفتيان؟

إن تعليم الفتيات والنساء قضية نبيلة وهي في صدارة الأولويّات. عندما تسلمت من قبل المديرة العامة السيدة إيرينا بوكوفا، رسالة تعييني كمبعوثة خاصة من أجل دعم تعليم الفتيات والنساء، وكان ذلك في مارس 2014 بمقر اليونسكو، كنت على بيّنة، لا فقط بالشرف الكبير الذي حصل لي، وإنما أيضا بثقل المسؤولية التي ستُوضع على عاتقي. إن منح النساء نفس فرص التنمية التي تُتاح للرجال هو شرط هام لدعم التقدم الاجتماعي والمساواة بين الجنسين والتنمية المستدامة للبشرية. وفي هذا المجال، تلعب التربية دورا حاسما.
فالمساواة في التعليم تفترض المساواة في الفرص وفي المعاملة وفي النتائج. إن هدفنا هو ضمان المساواة بين الجنسين عند الولوج إلى المدرسة وفي طريقة المعاملة داخلها، وعند مواصلة الدراسة وكذلك في ما يتعلق بالإندماج المهني ونيل الإعتبار الاجتماعي. وسأقوم بكل ما في وسعي لتحقيق هذا الهدف.

هل لك أن تذكري لنا بعض الأمثلة من نشاطك في إطار مهمتك كمبعوثة خاصّة لليونسكو؟ غالبا ما تؤدين زيارات للمدارس عند تنقّلاتك، فما هي الرسالة التي تريدين توجيهها للتلاميذ وللمُدرّسين ؟

منذ تعييني، أي منذ ما يزيد عن السنتين، زرت العديد من المدارس ومؤسسات الشباب والمراهقين، والهيئات المعنية بتطوير أوضاع النساء في الدول الإفريقية والآسيوية، لمزيد الإحاطة بالواقع على الميدان وحتّى أستلهِم من حكمتهم ومن قوّتهم، وأشاطرهم بعض التجارب. وبمناسبة التظاهرات المتعلقة بهذا الموضوع، كثيرا ما أدعو إلى إدراك الدور الأساسي للمُدرّسات وأهمّية تطوير تعليم الفتيات والنساء. وعلى سبيل المثال، أثناء الاجتماع رفيع المستوى للمبادرة العالمية من أجل التعليم قبل كل شيء، الذي انتظم في مقر الأمم المتحدة في نيويورك، دعوت دول العالم إلى إيلاء الأهميّة القصوى لتعليم عادل وأكثر جودة.

لدينا في الصين برنامج شونلاي، وهو برنامج مخصص للمساعدة على تعليم البنات اللاتي تنتمين إلي عائلات محرومة. ومنذ أن تمّ بعثه سنة 1989، استفاد منه 3.42 ملايين من الفتيات، وموّل بناء 1.489 مدرسة شونلاي، ووفّر التكوين المهني المناسب لفائدة 523.000 فتاة من البالغات للسن المطلوبة، كما تمّ نشر وتوزيع 1.5 مليون كتيّب حول حماية الفتيات. ولقد قمت، بوصفي المبعوثة الخاصة لبرنامج

تسليم أوّل جائزة لليونسكو لتعليم البنات والنّساء إلى الفائزتين من أندونيسيا والزمبابوي، بيجينغ، 6 يونيو 2016، من قبل السيدة إرينا بوكوفا، المديرة العامة لليونسكو، والسيدة بينغ ليوان، سيدة الصين الأولى والمبعوثة الخاصة لليونسكو.

© UNESCO

شونلاي لتنمية تعليم الفتيات، بزيارة مخيّم صيفي حيث تأثرت كثيرا بما إكتشفته من مواهب متنوّعة وما إلتمسته من فرحة الحياة لدى الفتيات اللاتي عدن إلى المدارس، بعد أن كنّ قد تخلّين عن الدراسة.

والرسالة التي أودّ إيصالها هي أن التساوي في الحظوظ عند مباشرة التعليم هو أمر أساسي حتى تتفتح قدرات الرجال والنساء ويكون لحياتهم معنى، كما أنه أمر حاسم في تحقيق التنمية المستدامة للبشرية. ولديّ يقين بأن كل فتاة وكل امرأة، طالما امتلكت قدرا من الأحلام والشجاعة والمثابرة لتحقيقها، فسوف تضمن النجاح لحياتها.

كنت قد سلمت في بيجين سنة 2016، صحبة المديرة العامة لليونسكو، جائزة اليونسكو لتعليم الفتيات والنساء التي تمّ تمويلها من طرف الحكومة الصينية. ما هي انطباعاتك حول الفائزات الأوائل؟ وما هي أهمّية هذه الجائزة على الصعيد العالمي؟

جائزة اليونسكو لتعليم الفتيات والنساء، التي تمّ إحداثها وتمويلها من قبل الحكومة الصينية، هي شعار الإمتياز الأول والوحيد الذي تمنحه المنظمة في هذا المجال، لمكافأة الأفراد والمنظمات على مساهماتهم الإستثنائية لفائدة تعليم الفتيات والنساء، ولتشجيع المزيد من الأشخاص على الانخراط لصالح هذه القضية.

ففي سنة 2016، وأثناء حفل تسليم الجائزة الأولى في بيجين، تقابلت مع الفائزات القادمات من أندونيسيا وزمبابوي. وكانت المساهمات التي قدّمتها الفائزات والمنظمات التي يُمثّلنها لدعم تعليم الفتيات والنساء، هامة وملموسة، وكانت محلّ إعجابنا. وهن يمثّلن، كما هو شأن عديد الأشخاص الآخرين الذين برهنوا على قدر من التفاني والانضباط، مصدر انتعاش لعالمنا. ولذلك فإنني حريصة على أن أشيد بهذه الميزات وأن أتوجه اليهن بصادق الإمتنان.

ما هي نظرتك لمهنة الأستاذ ؟

إن احترام الأساتذة وحبّ التعليم من العادات العريقة في الصين. ويعتبر هان يو، وهو عالم صيني عظيم، أصيل سلالة تانغ، أن «التدريس تنمية للأخلاق، ونقل للمعارف، وإزالة للشكوك». وبالنسبة للتلاميذ، فالاستاذ الجيّد لا بدّ أن يكون قدوة في الحياة، ولا يقتصر دوره على نقل المعلومات وإلهام الحكمة، بل يتعداها لإنارة الفكر وإيقاد الحماس. في حين أن المجتمع يترقب من الأستاذ أن يكون زارعا ينثر بذور الرحمة، والعدل، والسلم في قلوب التلاميذ. أما في نظري، فإن الأستاذ الجيّد يجب أن يكون دائما مجتهدا ومتحمّسا ومفعما بالحيوية، في خدمة التجديد وتطوير الذات. كما يجب أن يكون مؤهّلا لتربية التلاميذ بواسطة الثقافة والجمال، لمساعدتهم على بناء شخصية سليمة ومتوازنة اعتمادا على مقوّمات الفنون. والأستاذ الجيّد هو أيضا ذلك الذي يبرهن على احترامه للغير ويتحلّى بقيم التسامح والتفهّم، قولا وفعلا، ممّا يجعله يُوحي بالطيبة والتسامح والشمولية لدى التلاميذ حتى يصبحوا، عند بلوغهم سن الرشد، قادرين على خدمة المجتمع على أحسن وجه.

قامت الصين بإنجازات ملحوظة من أجل تطوير التعليم. ماهي، في رأيك، أهم جوانب السياسة التربوية في الصين ؟

إن تعزيز المساواة في الفرص للجميع هو في صميم السياسة الوطنية الصينية في مجال التربية. وتضمن الصين الحق في التعليم للفتيات والنساء بطرق متعددة، مثل وضع القوانين والسياسات، والمساعدة المالية للتلاميذ المحتاجين وتزويدهم بوجبات تُوفّر لهم التغذية الجيّدة. وفي إطار خطة العمل الوطنية لمبادرة التعليم للجميع (2001-2015)، تقوم الصين بمراقبة سنوية للوضع في هذا المجال لدى التجمّعات النيابية. ومن خلال إصدار مخطط خماسي، حول «تطور النساء في الصين، وحول تطور الطفولة في الصين»، تم تحديد سنة 2020 لبلوغ هدف المساواة في الحقوق لصالح النساء في مجالات الصحة، والتربية، والاقتصاد، كما تمّ تحديد الاجراءات العملية لذلك. وقد سجل هذا المخطط، الذي يقتضي الاحترام التام لمبدإ المساواة بين الجنسين في التربية، ويضمن الحق في دخول الفتيات والنساء إلى المدارس بشكل عادل، تقدما مُطّردا في مستوى تعليم النساء. ولقد حقّقت الصين اليوم هدف المساواة بين الجنسين في مجال التعليم، وهو هدف من أهداف الألفية للتنمية. ولقد تدعّمت بوضوح قدرة النساء الصينيات للأخذ بمصيرهن وللمشاركة في مسار التنمية.

وفي ذات الوقت، تعمل الصين جاهدة على توسيع التعاون والمساعدة على المستوى الدولي في مجال التربية. ففي سنة 2015، وخلال القمة العالمية للنساء، أعلن الرئيس الصيني شي جين بينغ عن هبة بعشرة ملايين دولار أمريكي لدعم تنفيذ كل من إعلان بيجين وبرنامج عمل بيجين، وكذلك تنفيذ الأهداف ذات الصلة من برنامج التنمية المستدامة في أفق 2030. وبهذه الوسائل المتنوّعة، بما فيها إنشاء صناديق تمويل وجوائز في اليونسكو، تدعم الصين مجهودات الدول النامية الأخرى في مقاومة الأمّية وتكوين المدرسين وتطوير تعليم الفتيات والنساء.

سأتحمّل كافة مسؤولياتي بوصفي المبعوثة الخاصة لليونسكو، ولن أدّخر أي جهد لمساندة المنظمة في تطوير تعليم الفتيات والنساء.

جائزة لصالح تعليم الفتيات

إنّ التعليم للجميع، الذي يشكّل عاملا من عوامل التقدّم الاقتصادي والاجتماعي، هو حق من حقوق الإنسان الأساسيّة شأنه شأن المساواة بين الجنسين. لكن، على الرغم من التطوّرات التي كُسِبت خلال السنوات الـعشرين الماضية، لا بدّ من الإقرار بأنّ الفتيات غالبا ما يعانين من الحرمان بالمقارنة مع الفتيان. وتشمل العقبات التي تمنع الفتيات من الحصول على التعليم الفقر، والعزلة الجغرافية، والإعاقة، والزواج المبكر، فضلا عن المواقف النَّمَطية التي لا تزال قائمة في بعض المناطق.

وجائزة اليونسكو لتعليم الفتيات والنساء، التي أنشأها المجلس التنفيذي للمنظمة في عام 2015 وموّلتها جمهورية الصّين الشعبية، تكافئ الابتكارات المميزة والاسهامات الاستثنائية التي يقوم بها أفراد، أو مؤسسات أو منظمات معنية أخرى في هذا المجال. وتُمنَح هذه الجائزة كلّ سنة لفائزَين إثنَين تختارهما لجنة تحكيم دولية مؤلّفة من خبراء، ويحصل كلّ منهما على مبلغ 50.000 دولار أمريكي لمتابعة أعمالهما لصالح تعليم الفتيات والنساء.

ولقد مُنِحت هذه الجائزة لأول مرّة في يونيو 2016، خلال حفل نُظِّم في بيجين، لكل من مديرية تنمية تعليم الطفولة المبكرة في وزارة التربية والثقافة في جمهورية أندونيسيا، وشبكة الثقة للطالبات الإناث في زمبابوي بهدف مكافأتهما على مشاريعهما الابتكارية.

وتهدف هذه الجائزة إلى الإسهام في تحقيق أهداف التنمية المتصلة بالتعليم والمساواة بين الجنسين في إطار خطة التنمية المستدامة لعام 2030. كما تُبرِز الأهمية التي توليها جمهورية الصين للمجموعات الأكثر عرضة للخطر ولتوفير التكافؤ أمام النساء والفتيات في الحصول على التعليم، بفضل القوانين، والسياسات، والتعاون الدولي، وذلك لضمان استقلاليتهن وتوفير حياة أفضل لهن.

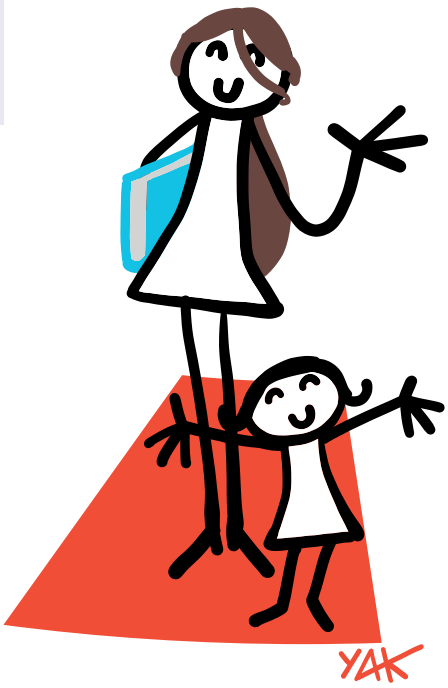

الثقافة في صميم أهداف التنمية المستدامة

تعتبِر اليونسكو أن الثقافة هي التي تُترجم كِياننا، وأنها العنصر المُؤسس لهويّتنا. فترسيخ الثقافة في صميم سياسات التنمية هو السبيل الوحيد لتحقيق تنمية تتمحور حول الإنسان، تكون شاملة وعادلة.

يوتي هوسغرهار

تمّ إدراج الثقافة لأول مرة في جدول الأعمال الدولي للتنمية المستدامة، وذلك ضمن أهداف التنمية التي اعتمدتها الأمم المتحدة في سبتمبر 2015. ولقد ابتهجت اليونسكو بهذه الخطوة وحيّت هذا «الإعتراف غير المسبوق».

إن حماية الثقافة وتطويرها هما، في نفس الوقت، غاية في حدّ ذاتها ووسيلة للمساهمة المباشرة في تحقيق جزء كبير من أهداف التنمية المستدامة : مدن آمنة ودائمة، شغل لائق ونموّ اقتصادي، تقليص في الفوارق، حماية للمحيط، مساواة بين الجنسين، مجتمعات سلمية وشمولية... لكن العمل بأهداف التنمية يسمح أيضا بجني فوائد غير مباشرة من الثقافة.

ففي أهداف التنمية المستدامة مصادقة على مفهوم جديد للتنمية، يتجاوز هدف النمو الاقتصادي البحت، ليرسم المستقبل المنشود الذي يرتكز على الإنصاف والشمولية والسلام وديمومة البيئة. وهذه النظرة الجريئة تستوجب تفاعلات خلّاقة تتجاوز المقاربات السطحية والقطاعية التي تعوّدت عليها جلّ الدول منذ عقود.

وإذا حصرنا محورة هذه الأهداف حول الأسس الثلاثة للتنمية المستدامة، الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، أدركنا الدور المشترك الذي يؤمّنه، في كلّ منها، البعدان الثقافي والإبداعي. وفي المقابل، تساهم أيضا الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للتنمية المستدامة في المحافظة على التراث الثقافي وفي تغذية القدرات الابتكارية.

ويشكّل كلّ من التراث الثقافي المادي وغير المادي، والطاقة الإبداعية، موارد يجب حمايتها وإدارتها بكل عناية. فكل منها قادر على أن يكون مُحرّكا لتحقيق أهداف التنمية المستدامة وعلى تيسيرها، باعتبار أن المقاربة الثقافية هي عنصر أساسي لإنجاح المجهودات المبذولة لبلوغ هذه الأهداف.

مُدن شمولية

للثقافة دور حاسم في بلوغ الهدف 11 من أهداف التنمية المستدامة، الرامي إلى «العمل على أن تكون المدن والمؤسسات البشرية مفتوحة للجميع ، مرِنة ودائمة». وتتضمّن الفقرة 11.4 دعوة إلى «تعزيز الجهود لحماية التراث الثقافي والطبيعي العالمي والمحافظة عليه».

ولم تنتظر اليونسكو المصادقة الرسمية على هذا الهدف سنة 2015، للتحرّك في هذا الاتجاه. فمنذ إعلان هانغجو الداعي إلى «جعل الثقافة في صميم سياسات التنمية المستدامة» المعتمد خلال المؤتمر العالمي الذي نظّمته اليونسكو سنة 2013 في هذه المدينة الصينيّة، ثمّ بيان هانغجو الختامي سنة 2015، بقيت اليونسكو مصرّة على ضرورة االتركيز على الجانب الإنساني في المدن، كما ساهمت بشكل فاعل في إعداد برنامج الأمم المتحدة الجديد للمدن.

ويرسم هذا البرنامج، الذي صادقت عليه جميع الدول المشاركة في المؤتمر الثالث للإسكان في كيتو (الإيكواتور) في أكتوبر 2016، خارطة طريق غايتها توجيه التنمية الحضرية المستدامة وتطوير مدن العالم خلال السنوات العشرين القادمة. وقد أصدرت اليونسكو بهذه المناسبة تقريرا تحت عنوان «الثقافة: المستقبل الحضري»، الذي يُعطي نظرة شاملة حول صيانة التراث الحضري والمحافظة عليه وإدارته، وكذلك حول تنمية الصناعات الثقافية والإبداعية.

وعلى سبيل المثال، فإن إعادة تهيئة المباني المهجورة والمُتضرّرة في نابلس بفلسطين قد خلقت فرصا جديدة للتجمعات المحلية. فقد تمّ تحويل مبنى خان الوكالة القديم إلى فضاء عمومي مُتعدّد الخدمات يحتضن أنشطة ثقافية مختلفة. وتمنح مثل هذه المبادرات إمكانيات جديدة للسكّان وتُعيد إحياء الاقتصاد المحلّي. ذلك أن تشريك الأفراد والمجموعات المختلفة في وضع المشاريع يشجّع على تماسك المجتمع، وفي ذلك مساهمة في نيل الهدف 17 للتنمية المستدامة حول دور الشراكة في تحقيق أهداف التنمية.

أمّا السياحة، فهي قطاع إقتصادي يشهد نموّا سريعا على كل المستويات، الوطني والإقليمي والدولي. وتُمثّل السياحة الثقافية 40% من مداخيل السياحة العالمية. ولهذه المرابيح تأثير إيجابي على مُجمل أهداف التنمية المستدامة، وخاصة منها الهدف 8 الرامي إلى تحقيق الشغل اللائق والنموّ الاقتصادي. ذلك أن الإدارة الرشيدة للتراث الثقافي تجلب استثمارات سياحية دائمة تنتفع منها الجماعات المحلّية دون الإساءة إلى المناطق التراثية.

الثقافة، عامل تنوّع

تُعتبر الصناعات الابتكارية والبنية التحتية الثقافية موارد ثمينة لتوفير وسائل العيش، خاصة في الدول النامية الثرية في مجال الصناعات الابتكارية. كما تُمثّل النساء جزءا هامّا من العاملين في القطاع الثقافي، وفي ذلك مساهمة في تحقيق الهدف 5 :المساواة بين الجنسين.

ويمثل تشجيع تجارة المنتوجات والخدمات الثقافية حافزا للأسواق المحلية والوطنية، كما يُساعد على خلق مواطن شغل لائقة (الغاية

رقم 8.3 والغاية رقم 8.5 من الهدف 8 للتنمية المستدامة]، وعلى دفع الإنتاج المحلّي. وتساهم السياسات الثقافية التي تكرّس التعامل التفاضلي مع المنتوجات المحلّية على تقليص الفوارق داخل الدول وفيما بينها (الهدف 10].

وفي هذا الصدد، يعتبر مشروع «المسرح الأرجنتيني دي لا بلاتا» في بيونس آيرز، نموذجيا. فبفضل تمويل من الصندوق العالمي للتنوّع الثقافي، تمّ تمكين ما لا يقل عن 610 من الشباب والكهول العاطلين عن العمل من التكوين في مجال إدارة العروض وغيرها من المهن المتعلّقة بالفنون الركحية. وبهذا التكوين، أصبح لهم من الكفاءة ما أهّلهم لإيجاد مواطن شغل أو لبعث مؤسساتهم الخاصّة.

كما أن المناطق الحضريّة الثرية بالممتلكات الثقافية وتلك التي يتوفّر فيها قطاع خلّاق وحيوي، هي أكثر جاذبية للمؤسسات. إن تطوير النموّ الاقتصادي الشامل والدائم بفضل التشغيل في المجالين الثقافي والإبداعي، هو حافز لبعث مواطن شغل لائقة. وفي بعض المدن، يرتكز الاقتصاد بشكل محسوس على جوانب من التراث غير المادي مثل الصناعة التقليدية، والموسيقى، والرقص، والفنون المرئيّة، والطبخ التقليدي والمسرح، وكلها غالبا ما تكون جزءا لا يتجزّأ من المناطق الحضريّة التاريخية.

« الفنون الزائلة دائما متواجدة »

© REZA / Webistan

مدينة للموسيقى

تعتبر مادلين، وهي ثاني أهم مدن كولومبيا والتي تنتمي إلى شبكة اليونسكو للمدن الخلّاقة، مثالا لِما يُمكن للموسيقى أن تبعثه من حيويّة في وسط حضري، بفضل أبعادها الثقافية والتربوية والتجديدية. وعلاوة عن مساهمتها في ترسيخ الثقافة المدنية والعدالة الاجتماعية والسّلم، خاصّة لدى الشباب، تجلب هذه المدينة آلاف السيّاح وتُولّد مداخيل ومَواطِن شغل، بتنظيم فعاليات موسيقية متنوّعة وسوق للموسيقى مُثمرة جدّا.

إن التدخلات لصالح التنمية البشرية في مجالات مثل تلك المنصوص عليها في الهدف 3 من أهداف التنمية المستدامة والمتعلّق بجودة الصحة والرفاهية، أو في الهدف 4 الخاص بجودة التعليم، تكون أكثر جدوى عندما تأخذ بعين الاعتبار السياق الثقافي وخصوصيات المنطقة أو المجموعة. وتنص الغاية 4.7 من الهدف 4 بكل وضوح على دور الثقافة، حيث تدعو «التربية إلى تعزيز ثقافة السّلم ونبذ العنف وإلى تقدير التنوّع الثقافي ومساهمة الثقافة في التنمية المستدامة».

إن التشجيع على احترام التنوّع الثقافي في إطار احترام حقوق الإنسان، من شأنه أن يُساعد على التفاهم الثقافي والسلم [الهدف 16: السلم، والعدالة والمؤسسات الناجعة]، وعلى التحسّب للنزاعات وعلى حماية حقوق المجموعات المُهمّشة. ولقد بيّنت أيضا بعض الأحداث الأخيرة مدى أهمّية حماية الثقافة والتنوّع الثقافي والتماسك الاجتماعي عند قيام نزاعات مُسلّحة. كما أن الثقافة مرتبطة بكل وضوح بالعمل في مجال المناخ [الهدف 13] إذ ترتكز العديد من المهن والصناعات التقليدية على المعرفة المحلّية في مجال إدارة النظم البيئية واستخراج الموارد الطبيعية واستعمال المواد المحلية. وحيث أن هذه المهن لا تتطلّب عادة قدرا كبيرا من التكنولوجيا والطاقة والاستثمار، فإنها تُساعد على خلق وسائل دائمة للعيش وتساهم في الاقتصاد الأخضر.

نظم المعرفة

وتولّى مشروع المحافظة على التراث غير المادّي الذي أُنشئ في أوغندا تكوين حرفيين، أغلبهم من الشباب، في تقنية صناعة النسيج من لحاء الأشجار، وهي صناعة يرجع عهدها إلى آلاف السنين. وقد سنح هذا المشروع الاستغلال الدائم لشجرة الموتوبا المتواجدة بكثرة في المنطقة والتي أهملت بسبب الحروب الأهلية الجهوية، كما ساعد على التقدم في تحقيق الأهداف البيئية وتوفير المداخيل، مع ضمان المحافظة على صناعة نسيج اللحاء الذي يُعتبر كنزا من كنوز التراث غير المادّي.
تُشكّل نظم المعرفة وطرق التعامل مع المحيط التي تتبعها الشعوب الأصلية والمحلية، مصدرا لأفكار جديدة لمواجهة التحديات البيئية بشكل أفضل، وللوقاية من تقلّص التنوّع البيئي، وللحدّ من تدهور الأراضي، ولمكافحة مخلّفات التغيّرات المناخية. فالثقافة، وخاصّة منها المعارف التقليدية، تُساهم أيضا في استعادة الحيوية وتُساعد الشعوب على الانتعاش بعد الكوارث الطبيعية [الغاية 13.1 من الهدف 13].

وإن تعددت الإشارات إلى الثقافة في جدول أعمال 2030، إلا أنه لا يعترف بالقدر المناسب بأهمّية مساهمتها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة. فدور الثقافة وتأثيرها الحقيقي في التنمية الشاملة لا زالا بحاجة إلى الدراسة والتقييم والتفعيل بكل دقّة. وبالتوازي مع تحقيق هذه الأهداف، لا بدّ من بذل مجهودات إضافية لتكوين قاعدة تضبط عوامل واقعية ومنتظمة وقابلة للقياس، لتوضيح كل مساهمة من مساهمات الثقافة في تحقيق التنمية الدائمة..

يوتي هوسغرهار [الهند] هي مهندسة معمارية ومخطّطة مدن وخبيرة ثقافية، وهي مديرة قسم الابتكار في الحقل الثقافي باليونسكو، مكلّفة بالخصوص بإدماج الثقافة في تحقيق جدول أعمال 2030 للأمم المتحدة. وقبل التحاقها باليونسكو، درّست بجامعة كولومبيا بنيويورك كما حصلت على كرسي اليونسكو في «معهد سريشتي» في بنغالور بالهند.

جيل جديد من المقاولين الأفارِقة

حاضِنات للمؤسسات الناشئة، و"فاب لاب"، ومواقع وخدمات رقميّة، وورشات عمل تشارُكيّة... هكذا دخل الشباب الأفريقي دخولا مباشرا في العصر الرقمي و في "المدن الذكية". فبدأ المقاولون والفنانون الأفارقة يتنظّمون ويُبدعون وينشطون مستخدمين الصناعات الثقافية كوسائل إنمائية.

أيوكو جوديت منساه

من داكار إلى نيروبي، يشكّل الشباب نبض الثورة الرقمية التي تشهدها القارة الإفريقية حاليا. فبُروز حاضنات المؤسسات الناشئة، «والـفاب لاب» [أي المختبرات الصّناعية]، والمواقع والخدمات الرقمية، ومساحات العمل الجماعية الجديدة، إنما يشير إلى تفاقم عدد الشبان المُولَعين بالتكنولوجيا. فهم يستخدمون الشبكة العالمية للمعلومات على نطاق واسع، ويحملون شهادات جامعية، ويحسنون التصرّف و قد بدؤوا يقتحمون مجالات الاقتصاد الرقمي الجديدة.

وليس من باب المبالغة أن يُطلَق على هذا الجيل الجديد إسم «المقاولين الأفارقة». فمهما تنوّعت الأنشطة التي يمارسونها، فإنّهم يتقاسمون العديد من الخصائص : الإستعمال المكثّف للتقنيات الرقمية ومنهجية عمل لا تفصِل بين المَحلّي والعالمي وإرادة الإسهام في تحسين ظروف الحياة في القارة الإفريقية.

والشاب كريم سي مؤسّس «جوكولابز» عام 2010 بداكار، هو من دون شك أشهر هؤلاء المقاولين. وتُعتبر المنظمة غير الربحية التي أنشأها «مجموعةً إفتراضية هدفُها تغيير المجتمع وركيزتها جمعٌ من المقاولين وشبكة من مراكز الإبتكار». وهناك العديد من الجهات الفاعلة الأخرى التي تستحقّ الذكر، منها مؤسسة «أجنداكار» الناشئة وهي البوابة الثقافية الأولى على شبكة الإنترنت في العاصمة السنغالية، والمقاول الشاب حسينو خادم باي الذي صمّم لعبة خاصة بالهواتف الذكية تحمل عنوان «عبورا بمدينة داكار» وهي لعبة تهدف إلى تنبيه الرأي العام حول مصير عدد كبير من طلّاب المدارس القرآنية الذين يجولون شوارع داكار و يجري استغلالهم للتسوّل.

ولا شك ان يصبح هؤلاء المبتكرون في مجال الصناعات الثقافية والإبداعية الأطراف الفاعلة في مدينة دياندیامديو وهي المدينة «الذكية» الأولى التي سيتمّ إنشاءها في المستقبل القريب على بعد 30 كيلومترا فقط من داكار عاصمة السنغال.

يوفّر «وازيهاك طوغو 2017» لحاملي المشاريع فرصا للإلتقاء حول إبتكار مصنوعات عبر الإنترنت.

© www.lafricainedarchitecture.com / www.woelabo.com

من المدينة الذكيّة إلى المدينة التشاركيّة

ومشروع تشييد هذه المدينة الذكية ليس المشروع الوحيد في القارة الإفريقية إذ بدأت مشاريع أخرى لمدن أو مراكز رقمية متميّزة تُنفَّذ بسرعة مبهرة في عدد كبير من البلدان، منبّئة بثورة عارمة. ففي نيجيريا مثلا، أصبح وادي ياكابون الواقع في أحد أحياء لاغوس، يشكّل المركز المحوري الأفريقي الأكثر شهرة، وكذلك في كينيا، حيث باتت مدينة كونزا، المعروفة أيضا باسم «سيليكون سافانا»، تضمّ أكثر من 250 مؤسسة ناشئة. وتتوفر أمثلة مشابهة في بنين حيث تمّ بعث مشروع مدينة بينين الذكية، وفي المغرب حيث تمّ بعث مشروع تشييد المدينة الإلكترونية في الدّار البيضاء، وكذلك في رواندا وجنوب أفريقيا.

وإن كان إنشاء هذه المراكز المحورية الجديدة يفتح من دون أدنى شك آفاقا جديدة أمام الشباب الأفريقي، إلاّ أنّه يثير أيضا تساؤلات كثيرة. و يرى الشاب سينامي كوفي أغبودجينو، الباحث المستَقل في مجال الهندسة المعمارية والأنتروبولوجيا، أصيل توغو ومؤسس موقع «الإفريقية للهندسة المعمارية» عام 2010، أنّه على المدينة الذكية الأفريقية ألاّ تسعى إلى نسخ النماذج الغربية، بل عليها أن تبتكر نموذجا خاصا بها بالإستناد إلى الخصائص المحلية. وهو مفهوم أطلق عليه إسم «العصرية الرّاسخة» و طبّقه في حي من أحياء لومي، عاصمة توغو، حيث فتح مختبر «واو لاب» أو «قرية سيليكون، المساحة الأفريقية الأولى التي تُمارَس فيها الديمقراطية التكنولوجية» والتي تهدف إلى تمكين السكّان المحليين بمجملهم من الوصول إلى التكنولوجيا المتقدمة.

وينادي س. ك أغبودجينو، صاحب نظرية «التكنولوجيا المتقدّمة في متناول الجميع»، «بِتعدّي المدينة الذكية باتّجاه المدينة العاميّة الجديدة أي المدينة التشاركية» وهو مفهوم الديمقراطية الرقمية والذكاء الجماعي الذي يهدف إلى منح سكّان حيّ ما الاستقلالية الذاتية. وفي تصريح لمجلة «فوربز إفريقيا»، قال أغبودجينو: «نحن أوّل من جمع في إفريقيا في نفس المكان و حول مشاريع مشتركة، مصمّمين ومختصّين في التكنولوجيا الرقمية، وعملة بناء، ونجّارين، وخيّاطين وحتى أناسا متشرّدين».
وقد أصبحت أخبار «واو لاب» الذي يتكوّن من حاضنة للمؤسسات الناشئة ومساحة للتدريب مفتوحة للجميع تُعقَد فيها ورشات عمل تشاركية على نحو منتظم، متداولة في كل أنحاء العالم إذ نجح فريق من «واو لاب» في تحقيق انتصار تكنولوجي يتمثل في طابعة «وافات»، وهي الطابعة الثلاثية الأبعاد الأولى المصنوعة من النفايات الإلكترونية.

مشاريع ثقافية وفنّية ذات أبعاد اجتماعية

ومع بروز المقاولين الأفارقة النّاشطين في مجال التكنولوجيا الرقمية، الذين يزداد عددهم يوما بعد يوم، علينا ألّا نغفل النشاط الخلّاق الذي يبذله الفنانون الشبان والعاملون في الميدان الثقافي الذين يسعون جاهدين في جميع المدن الأفريقية إلى إيصال صوتهم وكسب قوتهم من فنّهم وتحسين مُدنهم رغم الظروف الصعبة التي يعيشونها والإمكانيات المحدودة المُتاحة لهم. ففي برازافيل كما في كينشاسا، ولوبومباشي، ودوالا، وسيفو وأندجَمِينا، توجد الأطر الهيكلية التي يتمّ فيها تنفيذ مشاريع مثالية تمزج بين المَسعى الفني والوقع الاجتماعي.

وتقوم مشاغل «سَهم» التي أسّستها الفنانة التشكيلية بيل كويلاني في برازافيل، بدعم جيل جديد من الفنانين الموهوبين. أمّا مهرجان لوبومباشي فهو يحضى بإشعاع دولي وهو مهرجان يقام كل سنتين تمّ تنظيم دورته الرابعة سنة 2015. وفي كينشاسا التي سجلها التاريخ كعاصمة للموسيقى، يتزايد عدد المهرجانات التي تُبرِز الثروة الثقافية الاستثنائية للمدينة.

وفي داكار، بالإضافة إلى مهرجان الفن الأفريقي المعاصر الشهير الذي يقام كل سنتين، أصبح معرض «داكارت أفروبيكسل»، الذي تُنظمه جمعية كير تيوسان، مِنصةً في غاية الأهمية لتقديم المشاريع، وعقد الفعاليات، وتنظيم النقاشات والندوات الفكرية، وعرض التجارب الفنية والاجتماعية. وترغب جمعية كير تيوسان في كشف الطّاقات الكامِنة في التقنيات الحديثة لإستخدامها لفائدة التنمية الشاملة والمستدامة على الصعيد المحلي حتّى تتوفّر شروط مدينة إفريقية خلاّقة. وفي عام 2016، إنعقدت الدورة الخامسة للمعرض تحت عنوان «مدينةٌ مشتركة» وشملت البرمجة إقامات للفنانين، وورشات عمل مفتوحة للجميع، ومعارض وعروضا بواسطة «الفيديو مابينغ»، ونقاشات تشاركية حول موضوع «المدينة المشتركة»...

وخلال السنوات العشر الأخيرة، تعدّدت الفعاليات المرتبطة بموسيقى «الـهيب هوب» في كامل أنحاء القارة. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى شبكة توسّعت تدريجيّا لتضمّ المغنّين، والموسيقيين، ومهرجانات «الـهيب هوب» وقد أصبحت هذه الشبكة اليوم حافزا للحراك الفني، والتضامن، والتحوّل الاجتماعي. ويشارك عدد من راقصي «الـراب» مشاركة فاعلة في تحرّكات شعبية أو مظاهرات اجتماعية كَحركة «يانا مار» في السنغال، و«لوبالي سيتوايين» في بوركينا فاسو، و«ليينا» في تشاد.

شبكة من أجل مدنٍ مُبدِعة

إن كانت العديد من المدن تُراهِن على الصّناعات الثقافية والإبداعية بوصفها عاملا مساهما في التنمية المحلية المستدامة كما هي الحال بالنسبة لكاب تاون، وداكار، وبرايا، وجوهانسبرغ، وواغادوغو، وكينشاسا، وبرازافيل، إلّا أنّ مفهوم المدينة المُبدِعة لا يزال جديدا نسبيًّا في أفريقيا. والدليل على ذلك المشاركة المحدودة للمدن الإفريقية في شبكة المدن المبدِعة التي أسّستها اليونسكو في عام 2004. فعدد تِلك التي انضمّت إلى الشبكة لا يتعدّى الأربع (برازافيل في عام 2012، وداكار في عام 2014، وكينشاسا ولوبومباشي في عام 2015) من مُجمل 116 مدينة في 54 بلدا.

وقد قامت اليونسكو بتَصنِيف مدينة داكار «مدينة مُبدِعة في مجال الفنون الرقمية». واعتبر خليفة سال رئيس البلدية أنّ لهذا الاعتراف أهمية رمزية كبرى لا في عيون المستثمرين وصانعي القرارات السياسية فحسب، إنّما أيضا بالنسبة للمقاولين الشبان الذين لم ينتظروا هذا الإعتراف لينطلقوا في مجال الاقتصاد الرقمي وفي تطوير الصناعات الثقافية والمبدعة.

« أربن ماترز »، تظاهرة تمزج بين الفيديو والرّقص، تعالج مسألة الحياة اليومية في الفضاء الحضري، للفنانة التشكيلية الإيطالية تيزيانا منفرادي، ومصمّم الباليه الكنغولي أندريا ومبا، داكارت 2016.

© Tiziana Manfredi

وفي مايو 2016، حصل راقص «الـراب» سموكي أصيل بلاد بوركينا فاسو، وهو أحد قادة حركة «لو بالي سيتوايين»، على جائزة «موسيقيين زملاء في المنفى» التي تكافئ كلّ عام شخصيات عالمية وضعت فنّها في خدمة الحرّية. لكن بعد شهرين من حصوله على الجائزة، شبّ حريق في ورشة الفنان بواغادوغو أدّى إلى تخريبه بالكامل. وكانت ردّة الفعل أن تجنّدت شبكات التواصل الاجتماعي لدعمه كما أُطلِقت حملةُ تمويل تشاركية لإعادة بناء االورشة.

إن الفنانين والمقاولين الثقافيين الأفارقة الشبان ليسوا مبدعين وملتزمين فحسب، إنّما هم أيضا مصمّمون على استخدام الطاقات الكامنة والموارد الهامة التي تتيحها الأدوات الرقمية بأفضل طرق ممكنة لبناء المستقبل الذي يحلمون به.

أيوكو جوديت منساه صحفية فرنسية-طوغولية قامت بتأسيس مجلة أفريسكوب وإدارتها كما اشتغلت كخبيرة لدى البرنامج المشترك لمجموعة دول إفريقيا/آسيا/كارايب والإتحاد الأوروبي ببروكسل والمخصص لدعم القطاع الثقافي. وهي حاليا مستشارة لدى قصر الفنون الجميلة ببروكسل (قسم إفريقيا).

التفكير في المستقبل الحضري

في عام 2030، سيعيش 60% من سكان العالم في المناطق الحضرية. و سوف يتعيّن على المدن مواجهة تحديات هامّة من حيث التلوّث، والمسكن، والتنمية الاقتصادية، والفقر، وإستغلال الموارد والطاقة...

وفي إطار المبادرة الخاصة بالثقافة والتنمية الحضرية المستدامة التي أطلقَتها اليونسكو عام 2015، أصدرت المنظمة تقريرا عالميا في هذا المضمار يحمل عنوان «الثقافة: المستقبل المدني». ويقترح هذا التقرير، الذي تمّت صياغته بدعم من تسعة شركاء إقليميين ومن الشبكات التي ينتمون إليها، وبمساعدة خبراء ومنظمات دولية، التفكيرَ في معالجة التغيّرات التي تؤثّر في المدن. كما يدرس التقرير الدّور الذي تضطلع به الثقافة في التنمية المستدامة في المناطق الحضرية، ويحلّل الاتجاهات والتهديدات والنظرات الإستشرافية في السياقات الإقليمية المختلفة. باختصار، يشكّل هذا التقرير أداة قيّمة من شأنها مساعدة الحكومات على تنفيذ خطة التنمية المستدامة لعام 2030، ولاسيما الهدف 11 منها الذي ينصّ على جعل المدن والمستوطنات البشرية آمنة و مفتوحة للجميع وقادرة على الصمود بصفة مستدامة.

أزمة المياه في أنغكور

هل وقع كلّ من معلم أنغكور ومدينة سيام ريب ضحية نجاحهما؟ فأمام تَفاقم عدد السّكان والنمو السياحي، أصبحت المحافظة على النظم البيئية الأرضية مهدّدة والموارد المائية غير كافية. وقد إضطرّت السلطات إلى الإلتجاء إلى استخراج المياه الجوفية لتغطية الاحتياجات، ممّا أدّي إلى إنهيار التربة في هذا الموقع المُدرج في قائمة التراث العالمي. وتقوم اليونسكو، بالتشاور مع الخبراء الدوليين والسلطات المحلية، بدراسة إمكانية ضخّ المياه من مَحميّة المحيط الحيوي تونله ساب، لضمان إستغلال الموارد المائية بطريقة مستدامة على المدى البعيد ووضع حدّ لِتدهور التربة.

آثار تدهور المناطق الغابية في حديقة فنوم كولن الوطنية، من جرّاء الزراعة بطريقة القطع والحرق.

© Erica Pineros

شامرون سوك

يمتدّ مجمّع أنغكور، الذي يعدّ من مجمّعات المعابد والمعالم التاريخية المهدّمة الأكثر جاذبية في العالم، على أكثر من 400 كيلومتر مربّع وسط الحديقة الأثرية التي تحمل نفس الإسم، وهو يحظى بحماية اليونسكو. ومنذ أن تمّ فتْحه للجمهور، أي منذ حوالى ربع قرن، يستقطِب الموقع عددا متزايدا من السيّاح. فقد تدفّق إلى هذا المعلم الاستثنائي، الذي يعود تاريخ إنشائه إلى القرون الوسطى، أكثر من أربع ملايين زائر خلال العام الماضي، من بينهم مليونان ونصف من الزوّار الأجانب، الأمر الذي أثقل العبء بصفة معتبرة على الموارد المائية الشحيحة في المنطقة.

ومن المحتمل أن يذهب ضحيةً لهذا النجاح مجمّعُ أنغكور بأكمله، بما في ذلك المئة وإثنتي عشرة قرية والغابات التي يحتويها، وكذلك مدينة سيام ريب المجاورة له والتي توسّعت في الفترة الأخيرة بفضل الإنطلاقة التي تشهدها السياحة. وفي ظرف لا يتعدى العشرين سنة، تحوّلت هذه المنطقة الإقليمية الهادئة إلى تجمّع سكّاني مضطرِب، ذلك أن عدد السكان ظلّ يتزايد حتى فات المليون نسمة، بالإضافة إلى وفود السيّاح الذين يعتمد عليهم إزدهار المنطقة. وتتمتّع المنطقة حاليا بمطار دولي، وبأكثر من مئة فندق، وبعدد كبير من المطاعم، والمقاهي، والأسواق والمحلات التجارية. إلاّ أن المروج الخضراء التابعة للفنادق ذات النجوم الخمس، والفخامة الصّارخة للمباني المشيّدة حديثا، فضلا عن ملعب الجولف الرائع، تتطلب جميعها تكاليف باهظة.

يجلب موقع أنغكور فات الأثري أكثر من أربعة ملايين زائر سنويا، والمتوقع أن يتزايد هذا العدد في المستقبل.

مياه جوفية مهدّدة

يعاني إقليم سيام ريب من عجز مائي يقدَّر بحوالي 300 مليون مِترا مُكعّبا سنويا. وحتّى تتمكّن مصلحة المياه في سيام ريب من الإستجابة لمتطلّبات هذا النمو المفرط وتغطية إحتياجات السكان اليومية، يتعيّن عليها إستخراج 27.900 مِترا مُكعّبا من المياه الجوفية كل يوم. ومن الأسباب الأخرى التي تهدّد مستوى المياه الجوفية، قيام الفنادق وغيرها من المحلّات التجارية بحفر الآبار وضخّ المياه لاستخدامها الخاص، في كامل أنحاء المدينة وبدون ترخيص قانوني.

وتقع الطبقة المائيّة في سيام ريب على عمق حوالي خمسين مترا، وهي بالتالي سهلة المنال. ويعرّض الضخُّ غير المشروع للمياه، الذي يبقى حجمُه الحقيقي مَجهولا، قاعدةَ المعابد والأبراج في أنغكور للخطر. فقد تمّ تصميم هذه الكنوز الهندسية لترتكز على طبقة من التراب، استقرارها مضمون بفضل وفرة المياه الجوفية بصفة مستمرّة وتأقلمِها مع المواسم.

وقد يتسبّب إنهيار الأرض في أضرار لا تحصى في المعابد الّتي صمَدت، على مدى ألف سنة، في وجه نزوات الطبيعة والنزاعات. وبشكل ضخ المياه الجوفية أحد الأسباب الأكثر شيوعا في حالات إنهيار الأرض المنسوبة للأنشطة البشرية، عِلما بأن إنهيار الأرض أمر لا رِجعة فيه، حتّى لو تمّت تغذية طبقة المياه الجوفية من جديد. وعلى الرّغم من أنّه لم تُسجّل حالات إنهيار خطيرة في أنغكور، وأنّه لم يتِمّ تحقيق أيّة دراسة حول هذا الموضوع، يبقى إحتمال وقوع مثل هذه الكارثة في يوم من الأيام في معلم التراث العالمي هذا.

وقد ساهمت السياحة، التي تمثّل أكثر من 16% من إجمالي الناتج المحلي في كمبوديا، في تراجع نسبة الفقر خلال العشرين سنة من السلام اللّتي تلت ثلاثة عقود من النزاعات. ورغم محاولة حكومة مملكة كمبوديا الحدَّ من عدد السكان في هذه المنطقة، إلاّ أنّه يُستبعد أن يتِم منع سكان القرى المجاورة من الاستفادة من فرص العمل المرتبطة بالسياحة والمتاحة في هذا الإقليم.

ولمواجهة هذا التحدي وتوفير المياه الضرورية للمنطقة مع الحرص على ضمان استقرار المعابد، تعاونت اليونسكو مع الجهات المعنية وهي لجنة التنسيق الدولية لحماية موقع أنغكور التاريخي وتنميته، وجمعٌ من الخبراء التقنيين في مجالات متنوّعة، والهيئة المعنية بحماية وإدارة موقع أنغكور وإقليم سيام ريب، والإدارة الوطنية المكلّفة بالموقع. وقد بدأت الجهود التي تبذلها هذه الهيئات المسؤولة عن تحقيق التنمية المستدامة للموقع تأتي ثمارها.

موارد بحيرة «تونله ساب»

ومن بين الحلول المحتملة، ضخ المياه من بحيرة تونله ساب المجاورة (البحيرة الكبرى). وهذه المساحة المائية التابعة لمحميّة تونله ساب للمحيط الحيوي، وهي منطقة تتمتّع بمواصفات بيئية إستثنائية وتضمّ تنوّعا حيويا خارِقا للعادة، هي أوسع مساحة من نوعها في منطقة جنوب شرق آسيا، وتُعتبَر من أهم النُّظم البيئية الرطبة في العالم. وتشهد النقوش على حيطان معبد بايون في أنغكور على الثروة الحيوانية والنباتية لهذا الموقع. ويستعمل الكمبوديون أنواعا عديدة من نباتات محمية تونله ساب لأغراض طقُسية أو طِبية. كما يستمِدّ مليونا كمبوديّا قُوتَهم من منتوجات صيد الأسماك في مياهها العذبة، التي تُعدّ من الأكثر إنتاجية في العالم، مع مَحصول سنوي يفوق 250.000 طن.

وسوف يتعيّن على الحكومة الكمبودية تقييم الأثر البيئي الذي قد ينجرّ عن مشروع ضخ المياه لصالح سيام ريب، قبل الموافقة عليه.

© UNESCO / Eric Esquivel

فمحميّة المحيط الحيوي هذه، التي تشكّل مَهد بحيرة تونله ساب، لها أهمية فائقة بالنسبة للكمبوديين. وللحوض أيضا دور في تعديل فيضانات نهر الميكونغ، ذلك النهر الضّخم الذي يغذّي خمسة بلدان أخرى في منطقة جنوب شرق آسيا. ففي كلّ عام وخلال فصل الأمطار، يعلو مستوى نهر الميكونغ إلى حدٍّ أن تنعكس فيه وِجهة إنسياق المِياه : فيصبح الميكونغ ينْصَبّ في نهر تونله ساب الذي، بِدورِه، بدَل أن يمتصّ مِياه البحيرة كما هو مُعتاد في مواسم الجفاف، يعكس وِجهتَه نحوَها. وهذه الظاهرة تجعل من نهر الميكونغ النهر الكبير الوحيد في العالم الذي تنعكس وجهةُ مسارِه مرّتين في السنة. ويؤدّي ارتداد المياه السنوي هذا إلى ارتفاع مستوى البحيرة بعدّة أمتار، فتغمُر السهلَ الفيضاني كما تتضاعف مساحتُها الإجمالية بخمس مرّات.

وتُعتَبر تسمية موقع تونله ساب وسهله الفيضاني «محميّة للمحيط الحيوي» في إطار برنامج الإنسان والمحيط الحيوي لليونسكو، كإحدى أهم التجارب الناجحة في مجال الحماية في العالم، إذ سمحت، منذ انطلاق جهود الحماية في عام 1999، بإعادة توليد أنواع متعدّدة من الطيور المهدّدة بالإندثار.

كفّا عن تراكم النفايات!

يتسبّب النمو السنوي للقطاع السياحي، البالغة نسبته حوالى 20% في تفاقم التلوّث البيئي. وتبقى مشكلة النفايات همّا مستمرّا، على الرغم من عملية الكنس المنتظمة لجزء كبير من المعابد. وتشكّل أكوام النفايات مشهدا شائعا في سيام ريب، حيث اعتاد الجميع، سُكّانا كانوا أم سياحا، تفريغ علب القمامة ومياه المجاري مباشرة في النهر. ويتذمّر السكان الذين يعيشون على ضفاف النهر من وضعيتهم، فهم مرغمون على الإمتناع من استخراج الماء من النهر أو من الاستحمام فيه بسبب قذارته. فيتحسّرون على الزّمن الذي كانت فيه المياه نقية لدرجة أنهم كانوا يشربونها. كان ذلك منذ إثني عشر عاما. أمّا اليوم، فالمياه أصبحت عكرة ورائِحتها كريهة.

وإن نَجى «بنوم كولين» [أو جبل «ليتشي»]، الواقع على بعد أربعين كيلومترا من «أنغكور فات»، من حشود السيّاح الغفيرة الّتي تتدفّق في المعابد يوميّا، فهو يعاني من تقلّص غاباتِه من جراء قطع الأشجار، في حين أن العيون الجارية في تلك المناطق الغابية تساهم في تغذية نهر سيام ريب وبحيرة تونله ساب. إن قطع أشجار الغابات بصفة غير قانونية لتعويضها بأشجار جوز الكاجو والفاصوليا المُدِرّة للدخل، يسبّب إختلالا في التوازن البيئي المائي ويؤثّر سلبيا في إنتاجية صيد الأسماك.

مشروع إقليمي

وبعثت اليونسكو في الفترة الأخيرة مشروعا رائدا «لتعزيز وإعادة تأهيل النظم المائية في موقع أنغكور للتراث العالمي ومدينة سيام ريب». والغاية من هذا المشروع، الذي يستند على مقاربة عِلميّة لمفهوم الاستدامة، اقتراح حلول وإحداث تغيير دائم في التّفاعل بين المجتمع والبيئة. وسيتمّ تعزيز الأطر السياسية، والقانونية، والمؤسساتية، فضلا عن تشجيع إقامة علاقات التعاون، وشبكات التكوين، والأنشطة المصوّبة نحو تنمية القدرات في المنطقة المعنيّة وعلى المستويين الإقليمي والوطني. وأما على الصعيد المجتمعي، فترمي الجهود إلى إستعابة مفهوم الاستدامة إبتداء من طريقة إستغلال المياه بين المدينة وضواحيها.
وسيتمّ إطلاق حملة تحسيسية لتوعية سكان سيام ريب حول إنعكاسات تقلّص المياه الجوفية على معلم أنغكور وحول تأثير إزالة الغابات على محميّة تونله ساب للمحيط الحيوي.

ويبقى تحقيق التنمية المستدامة في إقليم سيام ريب مشرُوطا بإرساء تعاون حقيقيّ بين

الحكومة، والجهات المعنية والسكان. ويمكن للدولة أن تفرض إحترام القرار الذي سبق أن إتّخذته والقاضي بمنع استغلال الخشب في جبل كولين.

أساتذة في الهندسة المائية

وحتّى يتمّ التوفّق إلى الحل المناسب لمسألة إستغلال المياه، لا بدّ من توفير بيانات دقيقة في مجالات هامّة مثل حجم الضخ، ومستوى المياه الجوفية، ومعدّل إعادة تغذيتها، وتعميم هذه البيانات على مختلف الهيئات المحلية والوطنية المعنية لتتمكّن بالتالي من تقدير الموارد المائية المُتاحة في المنطقة وتخطيط إستغلالها. وقد تسمح بيانات الضخ بتحديد الاحتياجات من المياه الجوفية بصفة دقيقة، وفي حال تخطّي الحدود الحرِجة، بتحذير محطات الضخ والسكّان حتّى يكفّوا عن استخراج المياه لحين إستعادة مستوى طبقات المياه الجوفية، وذلك عبر نظام مراقبة معيّن.

وتجدر المبادرة أوّلا بتلقين السكّان عدم رمي نفاياتهم في النهر. كما يمكن إعادة تأهيل نهر سيام ريب ليصبِح، في نفس الوقت، محلاّ للإستقطاب السياحي ومنطقة مستدامة للتزوّد بالمياه السطحية. ويمكن ترميم معابد أخرى في ضواحي أنغكور بهدف حماية هذا الموقع من التّردّي من جرّاء تفاقم الحركة السياحية.

وقد بيّنت البحوث التي أجرِيت حديثا، أنّ شعب الخمير الذي شيّد أنغكور منذ ألف سنة، كان يعدّ من عباقرة الهندسة المائية. وقد سعى الحكّام في ذلك العهد، شأنهم شأن محافظي مدننا العصرية، لحماية السكّان من الفيضانات في موسم الأمطار، ولتوفير المياه للإستخدام المنزلي والزراعة في مواسم الجفاف، وذلك بتشييد مجموعة من الهيكليات الهيدرولية إعتمدت عليها هذه الحضارة على مدى ستة قرون. وقد اشتملت هذه الأشغال الهندسية البارعة على أحواض إصطناعية، وقنوات لتجميع مياه الأمطار وتوزيعها، ومخازن لمياه الري، وأحواض من اللاتيريت، وخنادق، وجسور وسدود.

وأنجزت مصلحة إستغلال الموارد المائية في الهيئة المعنية بحماية وإدارة موقع أنغكور وإقليم سيام ريب بحوثا نظرية وعملية على مدى ثماني سنوات بهدف إعادة تأهيل النظام المائي القديم لأنغكور. فأصبحت الخنادق المحيطة بمعبدي أنغكور ثوم وأنغكور وات مرمّمة و مليئة بالمياه من جديد، بعد قرون من الجفاف.

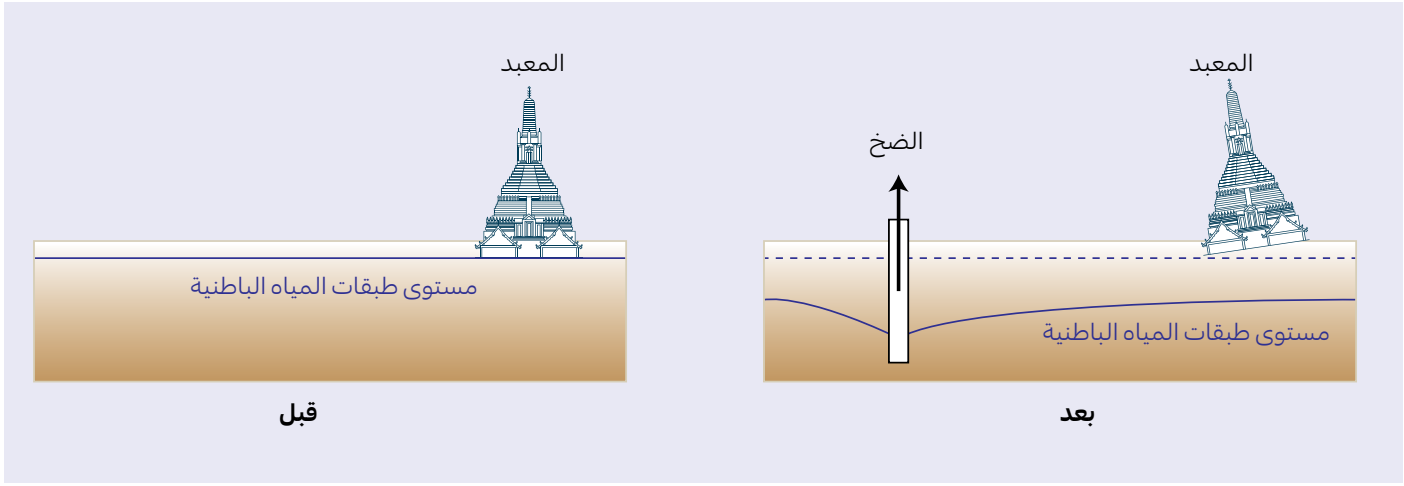

قد يؤدّي إنهيار مستوى طبقات المياه الباطنية، من جرّاء الضخ غير المرخص فيه، إلى زعزعة المعابد في موقع أنغكور.

© Hang-Peou / Eric Frogé

شمرون سوك [جمهورية كوريا وكمبوديا]
متحصّل على شهادة دكتوراه في الهندسة العمرانية والبيئة وإختصاصي في إدارة الموارد المائية. وقد شغل منصب مستشار لدى مكتب اليونسكو في بنوم بنه من 2015 إلى 2016.

أمينة غريب فقيم :
«العلوم، مفتاح التّقدّم الإجتماعي»

لمكافحة التغيّر المناخي وتبعاته التي تُسيء بشكل خاص إلى الدول الجزريّة الصغيرة، يتعيّن تشجيع البحث والابتكار ودعم الباحثين الأفارقة أكثر من أي وقت مضى. هذا ما تدعو إليه العالمة أمينة غريب فقيم، رئيسة موريشيوس. إن بلوغ أهداف التنمية المستدامة يتطلّب الإعتماد على العلوم و التّكنولوجيا.

أجرت الحوار إيزابيل موتشان-برون

نعيش مرحلة انتقاليّة لم يسبق لها مثيل على الصعيد الإقتصادي، والسكاني، والبيئي، والتكنولوجي. فإلى أيّ مدى يمكن للعلوم والتكنولوجيا والإبتكار أن تساهم في تجاوز هذه التحدّيات؟

طالما شكّلت العلوم والتكنولوجيا والإبتكار عاملا أساسيا في تحقيق التقدّم الاجتماعي، فضلا عن تحسين ظروف حياة الشعوب.

ومع تفاقم عدد السكّان في العالم الذي سيبلغ تسعة مليارات نسمة بحلول سنة 2050، سوف يتعيّن على الإنسان أن يتقن إستخدام الأدوات التكنولوجية أكثر فأكثر ليتمكّن من ضمان أمنه الغذائي، أمام تقلّص الموارد، واستقلاليته في مجالي المياه والطاقة، في إطار بيئة مهدّدة بفعل التغيّر المناخي.

في إطار المنتدى الاقتصادي العالمي المنعقد في يناير 2017، قمتِ بتقديم «التّحالف من أجل البحث والابتكار وتنظيم المشاريع» [كاري]. ما هي أهداف هذا التحالف؟

هو جمعية تضمّ عددا كبيرا من الشّركاء، وبخاصة مؤسسة بيل وملينداغيتس، وصندوق ويلكم تراست، والشّراكة الجديدة من أجل تنمية أفريقيا، والمعاهد الصحّية الوطنية الأمريكية، حتّى تتضافر جهودها لتعزيز البحث والإبتكار في القارّة الإفريقية.

والهدف منه هو الإسهام في تنمية مواهب الباحثين الأفارقة والمساعدة على تعزيز النظام البيئي الذي ينشطون في إطاره. ولقد بذلت إفريقيا جهودا جبارة على صعيد البحث، إلاّ أنّ تأثير الأعمال المنجزة يبقى محدودا نسبيا وغالبا ما يكون غير بيّن للأبصار.

ما الذي يتعيّن القيام به لمعالجة هذه المسألة؟

غالبا ما يفتقر الباحثون إلى الوسائل التي تتيح لهم إدراج أفكارهم حيّز التنفيذ سواء في شكل منتجات أو ببعث شركات. وإضافة إلى ذلك، فإنّ الإطار القانوني لحماية الممتلكات الفكرية غير كاف. وينتهي المطاف بنتائج البحوث في الأدراج، أو تُنشَر في الصحف وتُعمَّم دون أن تحظى بحماية براءات الاختراع. ويتعزم التحالف التدخّل على هذه المستويات المختلفة لتمكين الباحثين من الوسائل التي تتيح لهم المساهمة في تغيير حياة الأفارقة اليومية.

تندرج عبارة «تحالف» في الحقل المعجمي السياسي أكثر منه في الحقل المعجمي العلمي. فهل إنّ تطوير العلوم هو قبل كل شيء معركة سياسية؟

«السياسة» متواجدة على جميع المستويات. ومن البداهة القول بأنّه إذا اتّخذ السّياسيون، أي أولئك الذين يملكون السّلطة، قرارات صائبة،

فسوف يكون لهذه القرارات حتمًا تأثير إيجابي على المؤسسات العلمية. ولا يمكن لإفريقيا أن تحرز تقدّما في المجال العلمي، إلاّ إذا أقرّ صانعو القرارات السياسية بأهمية تمويل العلوم.
فيتعين بالتالي ألّا يتِمّ إعتبار كلمة «تحالف» على حدة، بل يتعيّن النظر إليها كوسيلة لتظافر القوى من أجل تطوير العلوم في إفريقيا تحقيقا لحياة أفضل لسكّانها.

ما الفرق بين هذا التّحالف وبين الرّابطة من أجل تسريع وتيرة التميّز في العلوم في إفريقيا التي أنشأتها الأكاديمية الأفريقية للعلوم والشّراكة الجديدة من أجل تنمية إفريقيا؟

لا فرق بينهما إذ إنّ العلاقة التي تجمعهما هي علاقة تكامل. فالهدف الأساسي للرّابطة من أجل تسريع وتيرة التميّز في العلوم في إفريقيا هو النشاط في قطاع الصحّة، وهي مدعومة من طرف مؤسسة بيل وملينداغيتس، وصندوق ويلكم، و من مؤسسات أخرى.

أليس من شأن تزايد عدد هذه المنظمات التي تعمل على تحقيق نفس الأهداف أن يفضي إلى ازدواجية لا لزوم لها، وبالتّالي إلى إذابة التمويلات؟

ليس هنالك إزدواجية لأنّ جميع هذه المنظمات تعمل بصفة متكاملة. وأمام التأخّر الذي سجّلته القارّة الإفريقية وإحتياجاتها الهائلة، لا مجال للسقوط في خطر تفتيت التمويلات. وعلينا أن ندعم جميع المبادرات التي تهدف إلى إيجاد الموارد وتنمية البحوث.
ولا بدّ من التّذكير بالحاجة الملِحّة إلى ملايين المهندسين والعلماء في إفريقيا لتحقيق نفس النسبة بين عدد المهندسين وعدد السكان التي بلغتها الدول المتقدّمة، على سبيل المثال.

تعاني البلدان الجزريّة الصغيرة، مثل موريشيوس، من هشاشة وضعيتها. فما الذي يمكن لهذه البلدان القيام به لمواجهة التهديدات البيئية؟

لقد سبق أن أدرِجت موريشيوس على لائحة البلدان المُعرّضة للخطر، وبصفة خاصة في سياق التغيّر المناخي. ونحن للأسف لا نملك حلولاً كثيرة لمواجهة ارتفاع مستوى المياه، لكن يتحتّم علينا تعزيز أراضينا وتهيئتها. فيتعيّن، على سبيل المثال، زرع المزيد من الأيكات الساحلية لإيقاف تآكل الشواطئ، وهذه النوعية من الأشجار توفّر نظاما بيئيا ممتازا للأسماك وغيرها من الثروات البحرية. وعلى أية حال، لا بدّ من المثابرة على الزرع لأن النباتات هي الوسيلة الأضمن للحدّ من انبعاث الكربون في الجو. وعلينا أيضا مضاعفة جهودنا بهدف إرساء استراتيجية لتنمية الطاقات المتجدّدة، وإعادة تدوير المياه وإحكام استغلالها، ذلك أن تناقص كمية المياه ستكون له انعكاسات مهولة.

لقد صادقت موريشيوس على اتّفاق باريس حول التغيّرات المناخية. فما هي التدابير الملموسة التي اتخذتموها لمكافحة الاحتباس الحراري؟

لا بدّ من التذكير بادئ ذي بدء بأنّ موريشيوس، شأنها شأن غيرها من بلدان القارّة الإفريقية، لم تساهم فِعليا في انبعاث الغازات الدفيئة، لكنّها ستكون من بين أكثر الجهات تأثّرا بهذه الغازات. ونحن نعمل جاهدين للحدّ من هذه الانبعاثات تضامنا مع العالم بأسره. ولقد بدأنا بإعداد استراتيجيتنا المتعلّقة بالطاقات المتجدّدة، وبتحسين إستغلال الموارد المائية وبإعادة تهيئة الأراضي. لكن علينا مضاعفة جهودنا حتّي نجعل البنى التحتية مطابقة للمعايير «الخضراء»، بالمزيد مثلا من لوحات الطاقة الشمسية، أو لأي معيار آخر يندرج في إطار التنمية المستدامة.

وعلينا كذلك تشجيع كلّ التقنيات الّتي تساعد على الحدّ من هدر الموارد، و توفير المزيد من إمكانيات التدوير والصناعات التي لا تُستهلك فيها الطاقة استهلاكا كثيفا. و بدأت هذه المفاهيم تنتشر شيئا فشيئا، و نلاحظ أنّ بعض شركات الغزل والنسيج قد بدأت تستعمل الطاقة الشمسية. وسيظلّ التعليم والتحسيس محورين أساسيين في هذا المضمار إذ يتعيّن على السكان كما على الفاعلين الاقتصاديين التقيّد بهذه المفاهيم، وذلك مهما كانت المبادرات التي ترغب الدولة في بعثها.

ما هو موقع جزر ماسكارين على الصعيد العالمي من حيث إنتاج الطاقات المتجددة؟ وما هو وضع موريشيوس بالمقارنة مع جاراتها مثل جزيرة لاريونيون؟

أمينة غريب فقيم، رئيسة موريشيوس، تعرض جوز الطيب في حديقة "بامبلموس بوتانيكل غاردن" (حديقة الليمون الهندي).

© Micheline Pelletier

لقد حقّقت جزيرة لاريونيون تقدّما هائلا في هذا المجال، وبلغت، على ما أظن، نسبة 35% من الطاقة الخضراء. أمّا جزيرة رودريغيز فقد حدّدت هدف التقيّد بإسغلال الطاقة الخضراء دون سواها و بلوغ هذا الهدف في المستقبل القريب. وفي موريشيوس، سبق أن قمنا بوضع عدد كبير من مزارع الرياح والمزارع الشمسية. وأظن أنّ مستقبل هذا القطاع يبدو جيدا لأنّنا نتقدّم بالاتجاه الصحيح.

لقد أدرجت مجلة «فوربز» اسمك ضمن الـمائة إمرأة الأكثر نفوذا وتأثيرا في العالم. فما يعني لك هذا الأمر؟

أولا، أريد أن أشكر المجلة على تقديرها هذا. وأعتبر أنّ هذه التسمية تسلّط الأضواء بصفة إيجابية على بلدي. وإنّه لمن دواعي سروري أن أساهم في التّعريف بطموحات موريشيوس الكبيرة على الرغم من صغر حجمها!

لقد كتبت على تويتر إنّ «النّساء الإفريقيات تحتلّ مركزا جوهريّا في خطّة تنمية القارّة، إلّا أنّه نادرا ما يتمّ تقييم مساهماتهنّ و الإعتراف بها...»

نعم، من الواضح أنّ إسهامات النساء في القارّة الإفريقية لا تحظى بتقييم عادل. فإذا تأمّلنا في قطاع الزراعة، نجد أنّ النّساء الإفريقيّات هنّ اللّواتي يغذّين القارّة. إلاّ أنّ الظروف لا تسمح لهنّ دائما بتطوير أنفسهن تطويرا تاما، سواء من حيث الحصول على التمويلات أوعلى صكوك المِلكيّة أو على التدريب. ولو تمكّنت النساء من تخطّي كلّ هذه العراقيل، لشاهدنا بالتأكيد تحسّنا كبيرا على صعيد الإنتاج الغذائي. وينطبق هذا الأمر أيضا على التمتّع بالتعليم في المرحلة الابتدائية كما في مرحلة التعليم العالي، والفتيات غالبا ما يقعن ضحية هذا الوضع. فإذا تمّ تمكين النساء من كلّ هذه الفرص بشكل جيّد، سوف يكون باستطاعتهن مساعدة القارة بصفة فعّالة للخروج من الأزمة.

منذ بضع سنوات، كنت ترغبين في تطوير الأدوية النّباتية لتوفير العلاج بأسعار في متناول الجميع. هل حققت شيئا من ذلك؟

قمتُ شخصيا بإدارته مشروع المصادقة على الوصفات التقليدية عندما كنت في الجامعة في تسعينات القرن الفائت. وازدادت أهمية نتائج هذه الأعمال عندما أنشأت شركتي الخاصة في عام 2009 مركز البحوث و العلاج بالنباتات (سيفير)، الذي أصبح منذ عام 2015 المركز الدولي لتطوير الصيدليّة. ومن طموحات هذا المركز بعث مجموعة من الأدوية النباتيّة، إلاّ أنّ الإنتقال من مرحلة البحث إلى مرحلة التّصنيع والتّسويق يتطلّب وقتا كثيرا وإمكانيات هائلة.

والعمل لا زال متواصلا و لوْ أنّني تركتُ المركز. وعلى سبيل المثال، بفضل الجهود التي يبذلها المركز، أصبح زيت الليمون الأساسي المصنوع في جزيرة رودريغيز يسوَّق في عالم العطورات ! كما تتوفّر في موريشيوس العديد من النباتات الطبية الصالحة لصنع مكوّنات تلبّي احتياجات الصناعات التجميلية والصيدليّة.

تكمن السلطة بالنسبة إليك في القدرة على التأثير على المدى البعيد بترك إرث معيّن. وبصِفتك رئيسة للجمهورية وعالمة ذائعة الصّيت، ما هو الإرث الذي ترغبين في تركه؟

إنّ التزامي بالعلوم والابتكار يبقى على حاله. لكن لِنقُل إنّه أصبح بشكل مختلف منذ أن شرعت في العمل مع صانعي القرار والمؤسسات الأخرى. فأنا مُقتنعة بضرورة الاستثمار في المؤسسات لتمكين الشباب من العمل في المجالات ذات الأولوية بالنسبة للقارة الإفريقية، وهي مجالات تستوجب اتقان استخدام الآليات العلمية. وهو نفس الإقتناع الذي دفعنا لبعث التحالف من أجل البحث والإبتكار الذي سبق ذكره.

وأتمنّى أن يكمن الإرث الذي سوف أتركه في الوعي بضرورة تواجد مؤسسات قويّة، وبضرورة توفير الإمكانيات للشباب لتفادي هجرة الأدمغة، ليس فقط من خلال تنمية طاقاتهم الكامنة بل من خلال تنمية النظام البيئي الذي سوف يعملون في إطاره. ويقتضي ذلك إمكانيات لا أشك في أنها ستكون متاحة أكثر فأكثر. وسوف تساعد هذه الأنشطة على نموّ بلدان المنطقة. وقد علّمنا التاريخ أنّ الدول التي استثمرت بصفة مكثفة في العلوم والتكنولوجيا والابتكار هي التي حقّقت النجاح الأفضل.

أمينة غريب فقيم هي رئيسة موريشيوس منذ يونيو 2015. وقد حازت سنة 2007 على جائزة لوريال/اليونسكو للنساء في مجال العلوم، وهي عالمة معترف بها في اختصاصها في النباتات الطبيّة بجزر مسكارين. وهي أيضا عضو في المجتمع العلمي في لندن، وفي الأكاديمية الإفريقية للعلوم، وفي الأكاديمية الإسلامية العالمية للعلوم في الأردن، وفي المعهد الإفريقي للعلوم في الولايات المتحدة.

على ساحل إحدى الجزر المهدّدة بالإختفاء، بسبب ارتفاع مستوى البحر.

© Daesung Lee

نِمر رقمي في ربوع البلطيق

إلتحقت أستونيا، إحدى الدول الثلاث الواقعة في منطقة البلطيق شمال أوروبا، بِصف دول العالم الأكثر تقدّما في المجال الرقمي. كما أنها تُعدّ من أكثر دول العالم حرّية في ميادين الإقتصاد والصحافة والإنترنت، حسب فريدم هاوس. كيف تمكّن هذا البلد الصغير ذو المليون وثلاثمائة ألف ساكن من أن يُصبح قاطرة للتكنولوجيات الحديثة ؟ ليست مبادرتها الرائدة "أستونيا الرقمية" غريبة عن هذا النجاح، فلقد راهنت على التعليم الابتكاري وعلى المؤسسة الافتراضية وعلى المواطنة الرقمية.

ماري رونيما

بدأت القصة المذهلة لتحول أستونيا إلى «أستونيا الرقمية»، حسب العبارة الملائمة للرئيس السابق طوماس هندريك إلفس، سنة 1996، برعاية مؤسسة "تيجر ليب" [قفزة النمر] المكلفة من قبل الحكومة بالاستثمارات التكنولوجية. وقد رأت الدولة آنذاك، بُعيد استقلالها من الاتحاد السوفياتي سنة 1991، أن ملاذها الوحيد هو الإقتصاد الإلكتروني والتحديث التكنولوجي المُكثف، وهي البلد الصغير الفاقد للموارد الطبيعية. وقد أعطى مشروع "قفزة النمر" الأولوية للبنية التحتية لتكنولوجيات الإعلام والإتصال كما جهّز كلّ المؤسسات التربوية بالحواسيب.

وبعد خمس سنوات، بادرت عشرُ منشآت خاصة وعمومية ببعث مؤسسة «لوك@وارلد» بهدف خدمة المصلحة العامة، وذلك عبر نشر استعمال الإنترنت وتكنولوجيات الإعلام والإتصال، سيما في مجالات التربية والعلوم والثقافة. وكان أول مشروع لها يتمثّل في التدريب على استعمال الحاسوب والإنترنت لِما لا يقل عن 102.697 مشاركا، أي ما يُمثّل 10% من سكان أستونيا الراشدين، وذلك بالإضافة إلى تعليم البرمجة الرقمية لتلاميذ أستونيا منذ السن السابعة. ومن هنا كانت الإنطلاقة في يوليو 2016، بلغت نسبة الأستونيين المستعملين للإنترنت 91.4%، وهي قفزة عملاقة إلى الأمام بالمقارنة مع ما كان عليه الوضع سنة 2000، حيث لم تكن نسبة مستعملي الإنترنت تتجاوز 28.6 %.

شعار واحد: التّعاون

لا شك أن مفاتيح النجاح الأستوني تكمن في التعاون والتبادل. وتمثل التعاون في التشجيعات التي لاقتها تكنولوجيات الإعلام والإتصال من لدُن كافة الحكومات المُتعاقبة، منذ التسعينات، بمساندة من القطاع الخاص والأوساط الجامعية والمواطنين. أما التبادل، فيعود إلى ما حظيت به الدولة من ثقة المستعملين الذين ردّوا الفعل بفسح المجال أمام معطياتهم الشخصية. فالأستونيون يملكون برنامجا للتعريف الرقمي تتمنّى امتلاك مثله العديد من الدول العظمى، إذ بإمكانهم الحصول عبر الإنترنت، وفي بضع دقائق، على أيّة خدمة، محليّة كانت أو وطنية.

وضمانا للشفافية والمسؤولية، فإنه بإمكان الأستونيين التصرف بأنفسهم في المعلومات السرية الخاصة بهم على البوابة الحكومية « eesti.ee »، كما يمكن لأي فرد، وبحركة واحدة، أن يعلم إذا تدخّل غيرُه للحصول على تلك المعلومات السرية. ولقد سُجّلت حالات نادرة، بعضها في الأوساط الطبية والأمنية، لأشخاص تمّت إدانتهم بسبب خرقهم للقانون عند قيامهم بغير وجه حق، بالبحث في قواعد المعلومات، ظنّا منهم أن لا أحد سيتفطّن إليهم. وكما أكّد طوماس هندريك إلفس، رئيس الدولة من 2006 إلى 2016، المدافع المتحمّس لأستونيا الرّقمية، فإن «الحاسوب لا يُرشى».

بلاد «السكايب»

فتحت أستونيا حدودها لجلب المواهب وتطعيم الإقتصاد الوطني بالشركات الناشئة التي أصبح عددها اليوم يفوق 400 شركة في العاصمة تالين، ممّا حدا بصحيفة «نيويورك تايمز» بأن تُطلق على المدينة لقب «سيليكون فالي البلطيق». هنا وُلد «السكايب»، تلك الخدمة المجانية للتخاطب عبر الفيديو التي أحدثت ثورة في عالم الإتصال وعرّفت بأستونيا في كل أنحاء العالم، حتى أن كلمة «سكايب» دخلت القاموس الانجليزي الشهير «أكسفورد». ومن بين الشركات الناشئة الأخرى البارزة، نذكر «ترنسفيروايز» وهي خدمة لتحويل الأموال «وجوباتيكل» ، وهو موقع على الإنترنت مختص في عروض التشغيل يسمح بممارسة الكفاءات المهنية عند السفر.

لقد شارك قطاع الخدمات، أو قطاع المهن الحرة، في أستونيا مشاركة فعالة في تركيز الحوكمة المفتوحة وممارسة الديمقراطية عبر التقنيات الإلكترونية. ولتنسيق مساهمات الجمهور في الحوار السياسي، أنشئت ثلاث بوابات على التوالي، بالمال العام. ويعتبر الكاتب العام للحكومة هايكي لوت، أن أستونيا هي دون شك البلد الوحيد في العالم الذي يتمتّع بهذا القدر من الشفافية عند وضع مشاريع القوانين وفي مسار التنسيق بين الوزارات.

وفي سنة 2016، اعتُبرت أستونيا واحدة من أكثر دول العالم التي شرّكت المجتمع المدني في مسيرة التشاور حول مخطط عمل الحكومة. ومن أحسن الأمثلة على ذلك بوابة المبادرة المدنية «رهفالغاتوس» التي تمّ بعثها في تلك السنة والتي تسمح بصياغة مقترحات مشتركة لعرضها على البرلمان الأستوني. وهي مبادرة جريئة فتحت المجال لاختبار طرق عصرية في اتخاذ القرارات، وأعطت ثمارها: فقد صوّت البرلمان على ثلاثة من مقترحات القوانين من بين الخمسة عشر مقترح التي قدّما «مجلس الشعب»، وهو مجلس كان في الأصل أرضية إلكترونية لاستشارة المواطنين قصد تعديل القانون الإنتخابي.

في معهد "غستاف أدلف غرامر سكول" بمدينة تالين، وهو من أقدم المعاهد يعود تأسيسه إلى سنة 1631، يستعمل التلامذة في مجمل الصفوف، الحاسوب و اللوحات الإلكترونية منذ سن السابعة.

© Stefano De Luigi/VII

يستعمل التلاميذ الحاسوب في سن مبكرة: في الصورة، حصّة لتعلّم البرمجة في معهد "غستاف أدْلف غرامر سكول" بمدينة تالين.

© Stefano De Luigi/VII

التدافع نحو تكنولوجيات المعلومات

إن الشعب الأستوني «متعطّش للتكنولوجيات الحديثة». هذا ما صرّحت به آفي لورينغسون التي تعمل منذ حوالي عشر سنوات في مجال تكنولوجيات المعلومات والتربية، صلب وزارة الشؤون الاقتصادية. ومع مرور الزمن، تجاوزت التربية في مجال تكنولوجيا المعلومات الفضاء المدرسي لتعمّ المجموعات ولتبلغ التربية المتعلقة بالترفيه. وقد عاد مائتا شخص، أغلبهم من الأولياء، إلى الأقسام ليتعلّموا تدريس استعمال الآلات الإلكترونية في الأنشطة الموازية للدراسة. وقد أكّدت آفي لورينغسون أن «ثلث التلاميذ الذين مارسوا أنشطة مرتبطة بالتكنولوجيات الحديثة للترفيه، اعترفوا بأن ذلك أثّر في اختيارهم لمجال مهنتهم».

«إيستي 2.0» هي جمعية غير ربحية ، تتمتّع برعاية مؤسسة «إلفس»، وتهدف إلى تشجيع الشباب الأستوني على تعاطي مهن تكنولوجية. وتُوفّر الجمعية للطلبة آليات مُختلفة ذات تقنيات عالية مصحوبة بمقترحات تطبيقية. والهدف من ذلك، حسب موقعها الإلكتروني، يتمثّل في «تغذية الفكر الخلّاق في مختلف الاختصاصات وربط النظريات العلمية بما يستجد في الحياة الفعلية من ظواهر وأحداث».

كما تلقى النوادي التي تنشط في مجال الآلات الحديثة، و في البرمجة الإعلامية وغيرها، نجاحا كبيرا، غير أن مسألة العلاقة بين الشباب والدولة الإلكترونية لا زال يشوبها شيء من التردّد. فمن المدهش فعلا أن نلاحظ بأن «هؤلاء الشبان، رغم ولعهم بالإعلامية، جاهلون، في كثير من الأحيان، لمجال التوقيع الرقمي مثلا»، حسب ما لاحظته آفي لورينغسون. «لم يكونوا في حاجة للتوقيع الرقمي للحصول على الخدمات، لكن يُصبح هذا التوقيع ضروريا عند بلوغ سن الرشد، وبدونه لا يمكن التحاور مع الدولة الإلكترونية».

وهناك صعوبة أخرى تكمن في مدى التمكّن من الإعلامية من قبل من تفوق أعمارهم الستين سنة الذين ما زالوا في بداية تعلّمهم في هذا المجال. فعندما تمّ إطلاق مشروع «قفزة النمر» للإنتقال الرقمي، تحوّلت المكتبات العمومية الأستونية إلى مراكز للإنترنت حيث يُواصل الشيوخ تعاملهم مع الدولة الألكترونية، بتأطير وثيق من طرف المكتبيّين الذين أصبحوا «مختصين في تكنولوجيات الاتصال».

عتبة 2020

إن التمكّن من الرقمية لا يجب أن يُخفي وجوب التحسيس بالمسائل الأمنية وبحماية المعطيات. وقد نظّمت السلطات المعنية العديد من الحملات واتّخذت العديد من الإجراءات لتحسيس المواطنين بوجوب التحلي باليقظة عند الإبحار في الإنترنت. وكمثال على ذلك، قامت المصلحة الأستونية لحماية الطفولة بالتنبيه ضد نشر صور للاستغلال الجنسي للأطفال في المواقع الألكترونية. كما بعثت مؤسسة تكنولوجيات الإعلام في خدمة التربية «هيتسا»، برامج تربوية جديدة قصد تعزيز وتكثيف التعاون بين الدولة من جهة، وصانعي تكنولوجيات الإعلام والاتصال، والجامعيين وسائر المؤسسات التربوية من جهة أخرى.

أمّا البرنامج الذي حظي بأكبر قدر من الشعبية فهو قطعا «البروغ تيجر» الذي بعثته آفي لورينغسون. وكان ثمرة تشارك طريف بين العمومي والخاص لتدريب التلاميذ، من 7 إلى 19 سنة، على رموز الإعلامية، مع الجمع بين ثلاثة حقول: علوم الهندسة، التخطيط والتكنولوجيا، وتكنولوجيا المعلومات والإتصال.

لكنّ عقبة هامّة بقيت قائمة، ألا وهي مدى تأهيل المُدرّسين. وقد أشار الأستاذ جاك فيلو من معهد علوم الإعلامية بجامعة تارتو، إلى استحالة تكوين العدد اللازم لمُدرّسي البرمجيات، ولَو تمّ تكريس العشر سنوات القادمة لهذا الهدف. واقترح أن يتولّى الطلبة اللامعون، مرّة أو اثنتين في السنة، إعطاء دروس عبر الإنترنت للحاصلين على شهادة الثانوية، وبذلك يستفيد آلاف الشبان في آن واحد. وبعد أن تمّ تنظيم دروس مجانية للكبار عبر الإنترنت، أصبح الآن من الضروري التفكير في توفير مثل هذه الدروس لمن هم أقلّ سنا، حسب جاك فيلو.

ونفتقد اليوم للمعلومات الدقيقة حول مدى سهولة استعمال الإعلامية في البلاد، وستدقّ ساعة الحقيقة سنة 2018 عندما تتقدم الدفعة الأولى من تلاميذ السنة التاسعة لاجتياز الاختبارات الوطنية في هذه المادة. فالأستونيون يُتقنون استعمال الحاسوب، وهذا شيء واضح. لكن الابتكار يتطلّب أكثر من ذلك، إذ أن المستعمِل مُطالب بأن يكون قادرا على خلق المحتوى الرقمي والتكنولوجي. ورغم الترتيب المتميّز الذي أحرز عليه في التحقيق الذي نظمه البرنامج الدولي لمتابعة الخبرات المُكتسبة عند التلاميذ سنة 2016، على الشباب الأستوني أن يبقى يقظا.

وبحلول سنة 2020، لا بدّ أن يكون الشباب قد تحصّل على قدرات ثابتة في حل المسائل المُعقّدة، والفكر النقدي، والطاقة الإبداعية، إضافة إلى قدرتهم على التنسيق مع الشركاء، وعلى إدارة الموارد البشرية والذكاء العاطفي. وفي نفس الوقت، لا بدّ من مواصلة الإعتناء بسعادة التلاميذ والحفاظ على متعة التعلّم لديهم. كلّ ذلك ممكن إذا تمكن النظام التربوي الأستوني من إعادة النظر في أهدافه وإيجاد المُدرّسين القادرين على تحقيقها.

ماري رومينا (أستونيا) مسؤولة عن الاتصال في مؤسسة أستونيا المفتوحة، التي تُدافع منذ 27 سنة عن الديمقراطية وعن تفتّح المجتمع. وهي كذلك صحفية مستقلّة، بعد أن كانت سابقا رئيسة تحرير مجلة أستونية في قطاع الخدمات.

الوجه الآخر للميدالية الألكترونية

بعدما كان يُعتبر وسيلة رائعة لإثارة التفكير الجماعي، سرعان ما تحوّل فضاء التعبير الحر في مواقع الإعلام الإلكتروني إلى «حائط المراحيض»، حسب التعبير المُبتذل. فمنذ عدّة سنوات، أصبحت عبارات الشتم تغمر المساحات العامة عبر التعاليق المنشورة على الإنترنت، لدرجة أن «بوستايميز»، البوابة الثانية للإعلام في أستونيا، اتّخذت في السنة الماضية قرارا بغلق القسم المخصص للتعاليق مجهولة المصدر.

وتبقى مسألة التعديل الذاتي لوسائل الإعلام مطروحة، إذ أن خطاب الكراهية لا يُعتبر مخالفا للقانون في أستونيا، رغم التزامها في هذا المجال على الصعيد الأوروبي. وقد اقترح وزير العدل الأستوني تنقيحا للمجلة الجنائية، إلّا أنه لم يحظ بأية مساندة في مسعاه. ويبقى الاعتداء على حرية التعبير أهم الذرائع المُتداولة في النقاش العام.

م.ر.

شراكات مبتكرة لديناميكية جديدة

ظهرت نوعية جديدة من الشراكة بين الحكومات والمؤسسات والمجتمع المدني، تفتح الطريق الأسلم لتحقيق الأهداف الاستراتيجية للمجموعة الدولية. وتسعى هذه الأرضية الشمولية المبنية على الحوار وعلى الأفكار الجديدة، لا فحسب إلى تحقيق الأهداف الحالية، بل أيضا إلى رفع تحديات المستقبل.

شراز سيدهفا

في اجتماعهم بدافوس خلال شهر جانفي 2017 بمناسبة المنتدى الاقتصادي العالمي، تباهى كبار القادة الحاضرين في هذا المعسكر النخبوي بوضع شارات صغيرة على ستراتهم، تحمل الألوان السبعة عشر لأهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة. فقد اختار هذا الفيلق من كبار رؤساء المؤسسات إستغلال مواقعهم وشركاتهم لدعم مقاومة التغيّرات المناخية، والقضاء على الفقر، وتشجيع مبدإ التعليم للجميع، واستقلالية النساء، والحدّ من انتشار الأمراض، تاركين على جنب أهداف أخرى قصيرة المدى، مثل الزيادة في المرابيح أو تنمية المبيعات.

فبعد أن بقي القطاع الخاص مستبعدا من قِبل وكالات التنمية طيلة عشرات السنين، بادرت الأمم المتحدة بدعوة هذا القطاع سنة 2015 ليكون طرفا مع منظمات الأمم المتحدة، والحكومات الوطنية، والمجموعات العِلمية، والمجتمع المدني، للعمل معا على تحقيق البرنامج العالمي الطموح للتنمية المستدامة في آفاق سنة 2030. ولهذا الإتّفاق الكوني بعدٌ شمولي لم يشهد له التاريخ مثيلا إلى حدّ اليوم. لكنّ هدفه النهائي، الرّامي إلى المزيد من الديمومة والسلم والازدهار للجميع، لن يتحقق إلاّ إذا أخذ كل طرف قسطه في هذه المهمة، وهو مبدأ «الشراكة من أجل تحقيق الأهداف» الذي نصّ عليه الهدف عدد 17.

تحسّن رائع في رفاهية العيش

في الكلمة التي ألقاها بِدافوس أثناء الدورة الإستثنائية المُخصّصة «للتعاون من أجل السلام : معالجة جذور الأزمات العالمية»، صرّح أنطونيو غوتيريس، الأمين العام للأمم المتحدة بأنه «في إطار تطبيق أهداف التنمية المستدامة واتّفاق باريس حول التغيّرات المناخية، لا بدّ من تجديد مفهوم الشراكة، لا مع الحكومات والمجتمع المدني والوسط الجامعي فحسب، بل وأيضا مع القطاع الخاص [بهدف خلق] الظروف الملائمة لتنمية شاملة ومستدامة تكون أفضل وسيلة لتجنّب الأزمات والنّزاعات في عالم اليوم».

كما أضاف أنطونيو غوتيريس بأنه، اعتمادا على حسابات حديثة العهد، من المتوقّع أن يؤدّي العمل بمُجمل أهداف التنمية المستدامة إلى جني ما لا يقلّ عن 30 مليار دولار سنويا، وأن تحقّق الشراكات الجديدة «تحسّنا رائعا لرفاهية العيش لدى الشعوب».

وأكّدت أمينة محمد، في أوّل تصريح لها بصفتها نائبة الأمين العام للأمم المتحدة، في 28 فبراير 2017، بعد بضع ساعات من أدائها للقسم، أن «بلوغ [أهداف التنمية المستدامة] يستوجب المزيد من الجرأة في مجالي التمويل والشراكة» وأنه «لن يتحقق أيّ شيء دون تشريك كافة المُتدخّلين». وللوصول إلى هذه الغاية، دعت كافة الدول إلى إعادة التفكير في النظم وفي المقاربات.

وقد نبّهت إلى أن الأمم المتحدة «ستكون مضطرّة على التأقلم» لتتمكّن من مساعدة الدول الأعضاء في تطبيق برنامج التنمية المستدامة في أفق 2030، قائلة: «علينا بالتّجديد وبإعادة النظر في مقارباتنا بخصوص الشراكة والتمويل، وذلك بالتركيز على المدى الطويل».

تشريك القطاع الخاص

و يُعتبر بول بولمان، الرئيس المدير العام للشركة الانجليزية الهولندية متعددة الجنسيات «أونيلافر» منذ 2009، أحسنَ مثال لهذا الأسطول من رؤساء المؤسسات، وعددهم في تزايد مستمر، الذين يخصّصون كثيرا من الوقت ويبذلون جهدا كبيرا للدفاع عن ضرورة مشاركة القطاع الخاص في البحث عن حلول للتحدّيات الكبرى التي يواجهها عالم اليوم. ولا تخلو لهجته من الإقناع عندما يخاطب المساهمين في شركته حول موضوع التغيّرات المناخية، قائلا: «ما أن تجاوزنا درجة حرارة واحدة، حتّى شرعت «أمّنا الطبيعة» في إرسال فاتورتها لنا، مع كلّ الأسف».

وأمام طلبة كلية لندن للاقتصاد، فخِطابه متفائل: «بإمكاننا أن نكون الجيل الذي سيجد حلا لمعضلة الفقر ومشكلة التغيّرات المناخية، في غضون خمس عشرة سنة». وعمّ الصمت القاعة المليئة بالطلبة المتحمّسين عندما أضاف: «تعوّدت القول بأنني أمثّل واحدة من أكبر المنظمات العالمية غير الحكومية».

ومثل هذا الخطاب غير مألوف لدى أرباب المؤسسات. لكن بول بولمان يُرفق كلامه بالفعل. وفي السنة الماضية، قبِل دعوة بان كي-مون، الأمين العام للأمم المتحدة آنذاك، التي وجهها إلى مجموعة من الشخصيات البارزة «حتّى يضمّوا أصواتهم المرموقة» للجهود المبذولة لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في أفق 2030.

إن الصندوق الخاص بتحقيق أهداف التنمية المستدامة، الذي أنشأه برنامج الأمم المتحدة للتنمية بطلب من الأمم المتحدة، يُسهل التقارب بين المؤسسات العمومية والخاصة لفائدة التنمية. وترمي هذه الاستراتيجية إلى بلوغ هدفين اثنين: تشريك المؤسسات منذ البداية في كل واحد من برامجها على أرض الواقع، وإنشاء مجلس استشاري للمؤسسات على الصعيد العالمي.

خارطة طريق للتحالفات

وتمّ تشكيل مجموعة استشارية من القطاع الخاص لفائدة الصندوق، تتألّف من مسيّري العديد من الشركات العالمية الصناعية الكبرى، لتُساعده على «ضبط خارطة طريق تسمح للتحالفات بين القطاعين العمومي والخاص بإيجاد الحلول لتحقيق أهداف التنمية المستدامة على صعيد واسع». وعلاوة عن تقديم المساعدة في إعداد أنشطة نموذجية، تُساهم المجموعة في تشييد هذا البناء من خلال محاورة الأطراف المعنية من القطاعين العمومي والخاص، والدفاع عن هذه الأهداف والتحسيس لضرورتها، واقتراح خدمات خبراء-استشاريين، والتعاون مع الباحثين لإيجاد أفكار جديدة لحلول مشتركة.

بفضل الشراكة بين العمومي والخاص، أصبح للمؤسسات «المسؤولة» مكانا مخصصا على طاولة المفاوضات. و تعمل منظّمات مثل المجلس العالمي للمؤسسات من أجل التنمية المستدامة، على إقتراح حلول تجارية هامّة لقضايا الديمومة الأكثر تعقيدا. وهو مجلس مقرّه في جنيف، يديره رئيس مدير عام، ويضمّ 200 شركة تُمثّل رقم معاملات مُشترك يُقدّر ب 8.500 مليار دولار وتُشغّل 19 مليون موظّف، كما يحتوي على سبعين مجلسا وطنيّا. وتعدّ الهيئة المديرة للمجلس من بين أعضائها، بول بولمان وكذلك آنا بوتان، الرئيسة التنفيذية لمؤسسة «بونكو سانتاندر»، وهي المرأة الوحيدة من بين خمسة عشر عضوا.

«حيث أن تمويل أهداف التنمية المستدامة يتطلّب بمفرده [حسب برنامج الأمم المتحدة للبيئة] اعتمادا ماليا يتراوح بين 5.000 و7.000 مليار دولار سنويا [...]، فإن للمؤسسات دورا حاسما كمصدر للاستثمار وكحافز للتنمية وللابتكار التكنولوجي، علاوة عن كونها محركا للنمو الاقتصادي ولخلق مواطن الشغل». هذا ما صرّح به بيتر باكير، الرئيس المدير العام للمجلس العالمي للمؤسسات من أجل التنمية المستدامة. وحيث أن الأمر يتعلّق بأهداف التنمية المستدامة، يُضيف بيتر باكير أن «السعي لتحقيق 17 غاية و169 هدفا يُمثّل مهمّة رهيبة بالنسبة لأيّ رئيس مدير عام».

وحتى يتمّ وضع المؤسسات على الطريق الصحيح، تعاون المجلس مع الاتفاقية العالمية للأمم المتحدة، ومع مبادرة الابلاغ العالمية [وهي منظمة مستقلّة للتنسيق الدولي، تقدّم الدعم للمؤسسات]، وكذلك مع الحكومات ومنظمات أخرى، لتقييم مردودات أنشطتها وترويجها في ما يتعلّق بالتغيّرات المناخية، وحقوق الإنسان، والفساد. ويرمي هذا التعاون إلى تهيئة خدمة جديدة «س.د.ج. كمباس»، وهي بمثابة «بوصلة لأهداف التنمية المستدامة» تمنح استشارات للمؤسسات وتتولّى تقييم تأثيرها. ذلك بالإضافة إلى إنشاء «س.د.ج. بزنس هوب»، وهو، حسب تعبير بيتر باكير «أرضية إلكترونية دينامية مفتوحة على شبكة الإنترنت، تعجّ بتصوّرات تجارية وآليات جديدة وموارد في هذا المجال».

تشريك المجتمع المدني منذ البداية

وكما يبيّن مثال شركة «أونيلافر»، فإن التزام كتلة القطاع الخاص لصالح الديمومة، وظهور نمط جديد للرأسمالية، قد ولّد كلاهما «شراكة

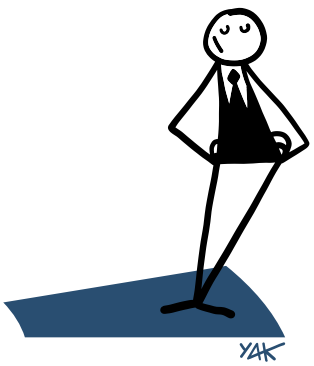

ظلال لأيادي متماسكة. مركز نيمايرآفيلاس، الأستوريز، إسبانيا.

© Julio Calvo / Millenium Images, UK

بنّاءة مع صغار الفلاحيين، ساعدت على إعطاء سلسلة التزوّد مزيدا من الفعالية والمرونة». هذا ما لاحظه جاك نالسون، المحلل المالي لدى «ستيوارت إنفاستورز»، في مقال صدر بصحيفة «فينانشل تايمز».

خلال المهرجان العالمي الأول للأفكار من أجل التنمية المستدامة الذي انتظم في بون [ألمانيا] في الأيام الأولى من شهر مارس 2017، أكّدت الطبيبة الكندية علاء مرابط، المدافعة المتحمّسة عن أهداف التنمية المستدامة، ومُؤسّسة «صوت النساء الليبيّات»، على الأهمّية التي يكتسيها ربط علاقات الشراكة والتعاون مع «الحلفاء غير المُحتملين» ، للإتّحاد حول تحقيق برنامج الأهداف العالمية لفائدة البشرية جمعاء.

وإن دعا برنامج 2030 إلى مقاربة عالمية مُتجدّدة ومُبتكرة للشراكات، فيجدر التذكير بأن البنك الدولي دافع منذ ثلاثين سنة، عن فكرة الشراكة التقليدية بين العمومي والخاص، بمعنى تعاون تعاقدي بين فاعلين في هذين القطاعين، يرمي بصفة عامة إلى تغطية العجز في تمويلات المشاريع العمومية للبنية التحتية. «يجب المرور من الشراكة بين العمومي والخاص إلى مبدإ «الإدارة والأعمال والمواطنين»». تلك هي الفكرة التي يُدافع عنها بحماس لويس موليمان، الباحث والعضو المُؤسّس، مع زوجته انجيبورغ نيستوري، للاستراتيجية العامة للتنمية المستدامة.

ويُؤكّد لويس موليمان بإلحاح أن «تحقيق أهداف التنمية المستدامة مشروط بمشاركة جدّية وفاعلة من قبل المجتمع المدني»، وأن «الشراكة بين «الإدارة والأعمال والمواطنين» تتطلّب إعادة توجيه أهداف كل واحد من الأطراف الثلاثة. فبالنسبة للإداريين، الغاية هي الوصول إلى نتائج ملموسة والحصول على فوائد متبادلة مع الشركاء الاجتماعيين، بدل السعي إلى التخفيض من التكاليف ومن القوى العاملة الحكومية. وبإمكان الشركاء التجاريين أن يجعلوا من المسؤولية الاجتماعية للمؤسسة هدفا مُتكاملا، وفي ذلك خلق للقيمة المُضافة». ويختم لويس موليمان كلامه بالقول: «إن إضافة المجتمع المدني إلى الشراكة بين العمومي والخاص في وقت لاحق لن يُجدي نفعا. فهل تصبح السيارة قادرة على الطيران بمجرّد تركيب أجنحة لها؟ لا، بل سوف تبقى بطبيعة الحال، سيارة».

من الضروري تغيير التوجّه

ويجزم المناهضون للمفهوم التقليدي للشراكة بين العمومي والخاص بأن برنامج 2030 يتطلّب أخذ الشعوب بعين الإعتبار بل إيلائها المقام الأول. ويدعم مركز الجودة العالمية حول الشراكة بين العمومي والخاص، التابع للجنة الأوروبية للأمم المتحدة، مفهوما لهذه الشراكة تكون فيه الأولوية للإنسان، ممّا يستوجب إقامة حوار جدّي بين الأطراف المعنية، مع المواصلة في دعم قدرة القطاعين العمومي والخاص على تحقيق مشاريع تكون مُؤهّلة للدوام اقتصاديا، ويكون لها تأثير في التحولات الاقتصادية.

«ليست الشراكة بين العمومي والخاص مُجرّد ترياق أو حل سحري لتغطية العجز المالي الفظيع الذي يشكو منه الاستثمار في البنية التحتية». هذا ما أكّده أنيس شودهوري، الباحث الأسترالي من أصل بنغالي، والذي كان سابقا مكلفا بموضوع إلتزام الأطراف المعنية والتحسيس، في قسم الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للأمم المتحدة، حيث ساهم في تأليف وثيقة عمل حول «الشراكة بين العمومي والخاص في برنامج التنمية المستدامة: هل هي الصيغة المناسبة للأهداف المنشودة؟».

ويُضيف أنيس شودهوري: «لكي تكون الشراكة بين العمومي والخاص أداة مُجدِية تمنح خدمات أساسية مثل البنية التحتية، لا بدّ أن تتوفر للدول القدرة المؤسساتية الضرورية للربط بين هذين القطاعين، ولإدارتها وتقييمها بالمقارنة مع موارد تمويل أخرى. وللوصول إلى هذا المُبتغى، سوف تحتاج العديد من الدول النامية إلى مساعدة من المجموعة الدولية، في شكل تقديم الدعم الفني وتقوية القدرات».

ثلاث كويرات زجاجية تعكس حقيقة واحدة.

© Nilu Izadi / Millenium Images, UK

زوم

كيم جولجا، شاطئ دودي بجزيرة جيجو2013.
© Hyung S. Kim

كانغ سونوك، شاطئ هامو بجزيرة جيجو2014.
© Hyung S. Kim

هير كيونغ سوك، شاطئ هامو بجزيرة جيجو 2014.
© Hyung S. Kim

«الهاينيو»، أساطير حيّة في جزيرة جيجو

نص : كاترينا ماركيلوفا

صور : هيونغ-سون كيم ومتحف هاينيو

الصوَر مُؤثّرة جدا. نساء غوّاصات في عقدهن السادس يلبسن أقمصة غوص عتيقة ويحدّقن في عدسة آلة التصوير. المشهد نادر ويُثير تساؤلات. «عندما نُشاهد وجهها، نتوقّع في كل لحظة أنها ستستنشق الهواء بعمق[...]، إنها الهاينيو». هذا ما قاله هيونغ سان كيم، بإحساس فيّاض، بعد أن أمعن النظر طويلا في «قطرات الماء التي تنساب على قميص الغوص، بلمعان أشبه ما يكون بجلدة الحيوانات البحرية».

تردّد هذا المصوّر أصيل كوريا-الجنوبية، بين سنتي 2012 و2014، على جزيرة جيجو الواقعة في عرض السواحل الجنوبية لجمهورية كوريا لتصوير «الهاينيو»، هؤلاء النساء اللاتي تغُصن إلى حدّ العشرة أمتار تحت الماء بدون كمامة الأكسيجين لصيد ثمار البحر. هذا النوع من الغوص يحمل اسما خاصّا وهو «المُلجِل». وتعني الكلمة في حياة «الهاينيو» سبع ساعات من الغوص بدون نفس، يوميّا، لمدّة 90 يوما في السنة، صيفا وشتاء.

وقد عمد المُصوّر إلى إخراج هؤلاء النساء من محيطهن، لوضعهن على خلفية بيضاء، حتى يظهرن في الصور وكأنّهن خرجن لحينه من البحر بعد «الملجل». يصف هيونغ سان كيم صوَره بالقول: «لا نشاهد المحيط مكان عملهن، ولا الشاطئ حيث يلقين بثمار البحر التي تملأ الشباك. لا نرى سِواهن». فبعد التخلّص من كافة العناصر التي قد تُشوّش النظر، يتمكّن المشاهد من التركيز على وجوه هؤلاء النساء وعلى أجسادهن، «وكأنّه يتصفّح دليلا مُوثّقا حول الهاينيو»، دليلا يروي الظروف القاسية لحياة هؤلاء النساء اللاتي أصبحن رمزا لجزيرة جيجو.

وبما أنها ظاهرة نادرة في مجتمع ينتمي إلى الكنفوشيوسية و يتمحور حول الرجل، تمّ سنة 2016 إدراج ثقافة «الهاينيو» في قائمة اليونسكو للتراث الثقافي غير المادّي. فهي تُساهم في تحسين وضعية النساء في هذه الطائفة، وفي المحافظة على المحيط بفضل تناغم هذه الطريقة مع الطبيعة. وقد منعت هذه المجموعة، المنظمة في تعاونيّات للصيد البحري، أيَّ استعمال للتكنولوجيات الحديثة، تفاديا للصيد المكثّف.

فبعد أن توجهت النساء إلى البحر بسبب قحط الأراضي البركانية في الجزيرة وعدم قابليتها لزراعة وفيرة، ها هنّ يلتجأن اليوم إلى مجالات أخرى مثل السياحة التي تشهد تطوّرا كبيرا. فمن بين 600.000 ساكن في جزيرة جيجو، لم تعد تُمارس الصيد الغائص سوى 4.500 امرأة، من بينهن 2.500 امرأة فقط تُباشرن فعليّا طريقة الصيد هذه، وأغلبهن تجاوزن سنّ الستين، حسب صحيفة «نيويوركر». ومنذ السبعينات، فقدت مهنة «الهاينيو» مكانتها المعتادة وأصبحت اختيارا مقصودا لمن يُمارسها.

وقد علّق الناقد بارك يونغ-تايك، واصفا «الهاينيو»، بقوله: «إن سطح البحر هو الفاصل بين الحياة والموت. واللاتي يمارِسن «الهاينيو» يقضين كامل وقتهن في اختراقه». والغريب في أمر ممارسات «الهاينيو»، المعروفات بتواضعهن بقدر جرأتهن، أنهن غير شاعرات على ما يبدو «بأهمّية مساهمتهن في حياة عائلاتهن وفي الاقتصاد المحلّي»، حسب ما صرّح به لي سون-هوا، عضو المجلس الخاص للحوكمة الذاتية لمقاطعة جيجو إلى صحيفة «كوريا تايمز». إن الاعتراف الدولي الناتج عن التسجيل في قائمة التراث العالمي غير المادّي سيمنحهن، دون شك، تقديرا وثقة في النفس.

مهنة الصيد البحري بالغوص في الأعماق تساهم بصفة فاعلة في اكتساب لقمة العيش لصالح عائلات النساء "هينيو"

© Haenyeo Museum

لا بدّ من تنظيف الأقنعة قبل الغوص في الأعماق لمدّة تقارب السبع ساعات يوميا.

© Haenyeo Museum

مجموعة من النساء "هينيو" في جزيرة جيجو بجمهورية كوريا، في طريقهن إلى العمل. وهن يتعاطين مهنة الصيد البحري بالغوص في الأعماق لغاية عشرة أمتار، بدون استعمال أقنعة الأكسيجين.

© Haenyeo Museum

حصّة تدفئة تجمع النساء "هينيو" قبل الغوص في أعماق البحر.

© Haenyeo Museum

هيون كيونغ شوم، شاطئ أونبيونغ بجزيرة جيجو 2014.

© Hyung S. Kim

© Haenyeo Museum

مهنة الصيد البحري بالغوص في الأعماق تساهم بصفة فاعلة في اكتساب لقمة العيش لصالح عائلات النساء "هينيو"

"قبّعات وصوامع"، مجموعة صور للفنانة الإيطالية السنغالية ميمونة غراسي المبدعة في الفنون المتعدّدة الأوساط، 2011

© Maïmouna Guerresi
http://www.maimounaguerresi.com

القرآن، بين النّص والسّياق

لِمَ لا تكون ردّة فعل المسلمين أكثر صرامة في وجه منظمات إرهابية تنشط باسم إسلام لا يتناسب مع نظرتهم للإسلام؟ يحاول محمود حسين الإجابة على هذا السؤال، محلّلا بشكل خاص الفرضية القائلة بأنّ القرآن غير قابل للتقادم.

محمود حسين

يعبّر المسلمون، في أغلبيتهم السّاحقة، عن سُخطهم إزاء الانحطاط الهمجي الذي تمثّله "داعش"، وإزاء ادّعائها التحدّث باسم الإسلام. مفهوم للإسلام لا يتناسب مع نظرتهم. ولكن على الرغم من إدانتهم لهذه المنظمة على الصعيدين المعنوي والإنساني، يصعب عليهم مهاجمتها على الصعيد الديني. بل هم يميلون بالأحرى إلى استبعادها عن الإسلام، والتصريح بأنّ خطابها ليس خطابا إسلاميا، فضلا عن التنصّل منها.

والمسألة، في الواقع ليست بهذه البساطة لأنّ "داعش" تدّعي انتماءها للإسلام وتستند صراحة إلى القرآن والحديث النبوي. فمن أجل دحض خطابها، يتعيّن البدء بالإقرار بالحقيقة المتمثلة في أنّه ما من وجه واحد أحد للإسلام، وأنه كان للإسلام في الماضي، كما هي الحال اليوم، وجوه مختلفة ومتباعدة، أوحتى متناقضة ومتخاصمة. من هنا، يمكننا الإقرار بأنّ "داعش" تقوم بإرساء رؤية خاصة، هدفها الترهيب لا الإقناع، وإثارة الغرائز الأكثر بدائية وإجرامية لكسب الأفئدة. فهي تقترح حقيقة مشوّهة للقرآن وللحديث النبوي.

ويتعيّن إدانتها على مستويين. من جهة، لأنها تسطفي وتختار وتعيد صياغة أجزاء من النصوص التأسيسية، زاجّة إياها في مشروع معادٍ للإنسانية. ومن جهة أخرى، لأنها تحوّل أجزاء من هذه النصوص، كانت تتماشى مع سياق المنطقة العربية في القرن السابع، إلى وصايا مطلقة وأبدية. فتقوم بهذه الطريقة بتكريس مسألتي خضوع المرأة للرجل وممارسة الاستعباد. وبهذه الطريقة أيضا تصِم بالعار للأبد جميع اليهود وجميع المسيحيين، إنطلاقا من أحكام أطلقت على بعض اليهود وبعض المسيحيين، في ظل ظروف نزاعيّة، وفي زمن لم يعد له أية علاقة بزمننا الحاضر.

حرّية الاختيار البشرية
لا تتعارض مع القدرة الإلهية

ولماذا لا يقوم عدد كبير من المسلمين العلمانيين، الذين يشاطرون هذا الانتقاد لـ"داعش"، بالتشهير بموقفهم على الملْء؟ لأنّه سوف يتعيّن عليهم اتخاذ إجراءات جذرية لهذه الغاية وذلك بالقبول صراحة بأنّ الوحي يتضمّن في نفس الوقت تعاليم أبدية وتعليمات ظرفية. وبعبارات أخرى، سوف يتعيّن عليهم إعادة النظر في العقيدة السائدة والقائلة بعدم قابلية القرآن للتقادم.

وتستند هذه العقيدة على منطق يتعذّر تجنّبه للوهلة الأولى، ألا وهو أنّ القرآن هو كلمة الله وبما أنّ الله معصوم من الخطأ، فلا يمكن للآيات القرآنية إلاّ أن تتّسم ببعد كوني وأبدي. ومن هنا تأنيب الضمير الذي يعاني منه عدد كبير من المسلمين اليوم، عندما تعترضهم آيات يمكن تفسيرها في السياق العربي الذي كان سائدا في القرن السابع، لكنّها لم تعد تتماشى مع المتطلبات الأخلاقية لعصرنا الحالي.

ولكنّ تأنيب الضمير هذا ليس بمحلّه، إذ يمكننا رفض هذه العقيدة من دون التخلي عن الحقيقة الأولى للقرآن. بل إنّ رفض هذه العقيدة يتيح لنا الوصول إلى الحقيقة الأساسيّة للقرآن. لأنّ هذه العقيدة ليست ناجمة عن القرآن نفسه، إنّما عن فرضية إيديولوجية ملصقة به منذ القرن التاسع.

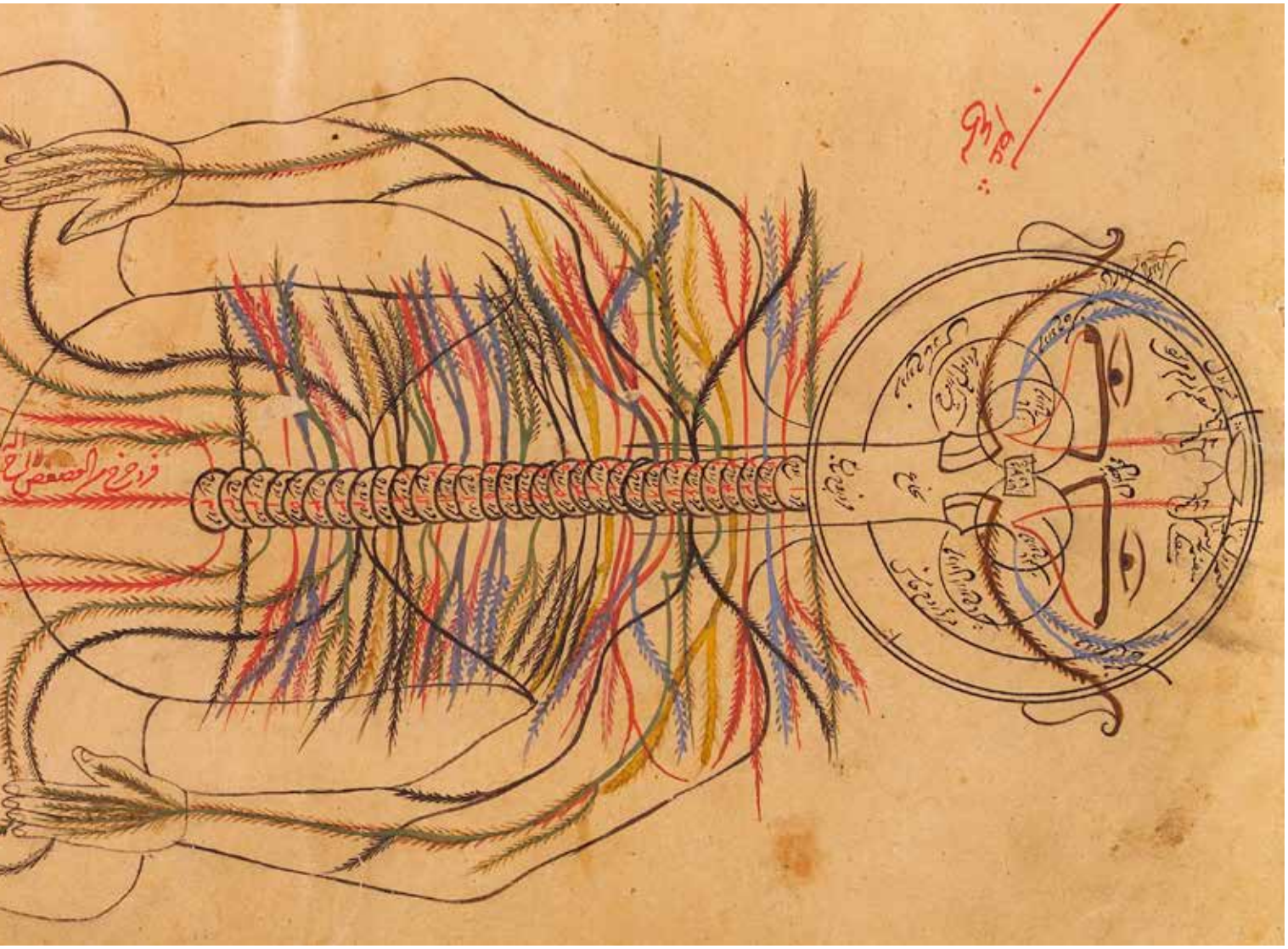

رسم للجهاز العصبي في كتاب "القانون في الطبّ" لإبن سينا، سنة 1025

و حسب هذه الفرضية فإن الخطاب الإلهي جزء لا يتجزأ من الذات الإلهية ويشترك معه في طبيعته الإلهية، وهو أبدي مثله.

إلاّ أنّ هذه الفرضية تناقض القرآن جملة وتفصيلا، لأنّ الله وكلمته لا يأتيان في المرتبة نفسها. فالله متعالٍ على الزمان، في حين تندرج كلمته في الزمان. وكلمة الله تمزج بين المطلق والنسبي، والكوني والخاص، والروحاني والزمني. فلا يمكن بالتالي قراءة القرآن بوصفه مجموعة توصيات يتعيّن التقيّد بها في جميع الأماكن والأزمنة.

لكن كيف تمكّنت هذه العقيدة من فرض نفسها، منذ زمن بعيد في العالم الإسلامي، هي التي تتحدّى الحقائق القرآنية ؟
لقد فرضت نفسها إثر معركة طويلة، يعود تاريخها إلى القرن التاسع، في مدينة بغداد في العهد العباسي حيث شهدت تلك الحقبة بروز حركات

© Wellcome Library, London / Wellcome Images

فكرية تمتّعت بجرأة فائقة. كان علماء الدين المعتزلة يعتبرون أنّ حرية الاختيار البشرية لا تتعارض مع القدرة الإلهية: إذ إنّ الله هو الذي منح الإنسان ما يسمىّ القدرة "على التفكير المنطقي والإبداع التي تتيح له التصرّف بحرية. وشكّل الفلاسفة مدرسة عقلانية أخرى تأسست خارج نطاق علم الأديان هدفها ضمّ مجالات المعرفة جميعها على نسق الفكر اليوناني.

وقام في وجه المعتزلة والفلاسفة تيّار محافظ ازدادت قوته يوما بعد يوم. سعى الفقهاء وعلماء الدين، بوصفهم حماة الدين الإسلامي كلّ في مجال اختصاصه، إلى القضاء على مفهوم حرية الاختيار، مؤكدين أنّه يشكّك في القدرة الإلهية. وتمحورت المواجهة الحاسمة بين التيارين حول طبيعة النص القرآني.

فرأى المعتزلة أنّ الله قد "خلق" القرآن، أي أنّ القرآن منفصل عن الله ويندرج في زمان محدّد، ألا وهو زمن نزوله. وللقرآن بالتالي بُعد زمني يتيح للكائنات البشرية مجالا للتفسير. وأمّا خصومهم فقد أكدوا أنّ القرآن "لم يُخلق"، أي أنه، بعبارات أخرى، يساوي الله في الجوهر، ويمتزج معه في طبيعته الأبدية. وانطلاقا من هنا، فإنّ التشبّع بالقرآن، والسّماح لطبيعته الإلهية بالتغلغل في الإنسان، من خلال قراءته قراءة حرفية متكرّرة إلى ما لا نهاية، أهمّ من فهمه، الأمر الذي يضفي عليه صفة الحقيقة المطلقة والمقدّسة، ومن هنا نشأ مفهوم عدم قابلية النص القرآني للتقادم.

وقد خرج المدافعون عن هذه الفرضية منتصرين من المواجهة. وخسر مفهوم حرية الاختيار في العالم الإسلامي على مدى قرون طوال. ولم يعد ليبرز مجددا إلا ابتداء من القرن التاسع عشر.

فالحركة الاصلاحية التي قادها كبار المفكرين المسلمين، قد سعت جاهدة للقضاء على العقيدة القائلة بأنّ القرآن غير قابل للتقادم، مستوحية من روح عصر الأنوار، ومستندة إلى المواد العصريّة المتمثّلة في التاريخ، والأنتروبولوجيا والألسنيّة. ومن دون أن تشكّك بالمصدر الإلهي لهذا الوحي، بدأت الحركة الإصلاحية في التفكير في الوقائع التاريخية المتّصلة بظهوره. فاصطدمت بحُماة هذه العقيدة الذين أدانوها واصفين الأداة المنهجية التي استخدمتها، أي التفكير النقدي المعمول به في مجالي العلوم الإنسانية والاجتماعية، بالأداة غير المشروعة. وقد اعتبر حماة هذه العقيدة أنّ الادّعاء بأنّ نزول القرآن أتى استجابة لأي أمر آخر غير إرادة الله الأبدية والتوهّم بأنّه مرتبط، بأي شكل من الأشكال، بسياق تاريخي محدّد، إنّما هو عملية تضليل من صنع أشخاص غير مؤمنين. ورأوا أن التفكير النقدي ينظر إلى هذه المادة الإلهية نظرة غريبة عنها، والدليل على ذلك أنّه يستند إلى حجج مستمدة من تعاليم مدنّسة غريبة عن الإسلام.

في ضوء مؤلّفات الطبري ومؤرّخي القرن التّاسع

والسؤال الذي يفرض نفسه هو التالي : هل يمكن صرف النظر عن هذا الاعتراض؟ وهل يمكن إثبات العلاقة الضرورية بين النص والسياق، من دون اللجوء إلى العلوم المدنّسة؟ بل بالاستناد حصريا إلى نصوص دينية لا جدل فيها بالنسبة لحُماة هذه العقيدة المتزمتين؟

والجواب هو نعم، فالنصوص الدينية التي تتيح إثبات ذلك متوفرة بالتأكيد. ومنذ زمن بعيد. وقد ولدت هذه النصوص استجابة إلى حاجة ملحّة، تم إدراكها منذ القرن الأوّل من التقويم الإسلامي، في إطار المدارس القرآنية. وتتمثل هذه الحاجة في فهم معنى عدد كبير من الآيات، التي كان فهمها صعبا أو حتّى مستحيلا إذا لم يتمّ التعرف على الظروف التي أُنزِلت في إطارها.

ولقد حاولنا الاستجابة لهذا المطلب، من خلال العودة إلى مصادر جميع المعلومات المتاحة حول فترة نزول الوحي أي فترة الشهادات التي خلّفها صحابة النبي. فالواقع أنّ هؤلاء في معظمهم لم يفهموا دائما معنى الآيات التي كان النبي يتلوها عليهم. فكانوا يذهبون لملاقاته، بشكل فردي أو ضمن مجموعات، ويسألونه عن معاني هذه الآيات. وكان يردّ عليهم موضحا الآيات المختلفة، ومعلّقا عليها، وشارحا إياها ومبيّنا معناها بواسطة الأمثلة.

وبعد وفاته، ألقيَت على عاتق الصحابة مهمّة نقل الأحاديث التي سمعوها على لسان النبي إلى المؤمنين الجدد، وكان عددهم يزداد شيئا فشيئا، مدعَّمة بذكرياتهم الخاصة المتعلّقة بأزمنة وأماكن نزول هذه الآيات.

وبعد وفاة آخر الصحابة، بدأت عملية جمع الشهادات وتدوينها. وفي مطلع القرن التاسع، صدر الكتاب الأول بعنوان "السيرة النبوية" لابن اسحاق، وتلاه عدد كبير من الكتب الأخرى، ولا سيما أعمال أربعة مؤرّخين كبار، عملوا في ظل الخلافة العباسية، وهم : الواقدي، مؤلف « كتاب المغازي » ومحمد ابن سعد مؤلف « كتاب الطبقات الكبير» والطبري، مؤلف « كتاب الرسل والملوك » والبلاذري مؤلف « كتاب أنساب الأشراف ».

وتتّسم هذه الحوليات التاريخية بأهمية فريدة، إذ أنها تضع نصب أعيننا لوحة تتضمّن الأحداث الأساسية في حياة النبي، وفق تسلسل معيّن. وقد وفّرت لنا هذه الوقائع مسحا تقريبيّا للفترات المتتالية لنزول الوحي، يتيح لنا تحديد التسلسل الزمني لنزول مئات الآيات والقيام في الوقت عينه بإعادة وضع كل آية منها في السياق الخاص بها.

وعند قراءة النص القرآني في ضوء هذه الوقائع التاريخية، تتجلّى الحقيقة التالية : لا يُسمح في القرآن، في أي وقت من الأوقات، بالخلط بين الله وكلمته. ولا يُسمح، في أي وقت من الأوقات، بالقول إنّ كلمة الله تتّسم بصفة الأبدية التي يتّسم بها هو. فإعادة وضع النص القرآني في سياقه وقراءته على هذا النحو، إنّما تقودنا إلى ثلاثة استنتاجات أساسية. الاستنتاج الأوّل هو أن كلمة الله في القرآن مقرونة بلغة الجزيرة العربية وثقافتها وتساؤلاتها في القرن السابع. والاستنتاج الثاني هو أنّ كلمة الله في القرآن لا تُقدَّم على شكل مونولوج، بل على شكل تبادل بين السماء والأرض. فالله يتحاور، بشكل آني، وبواسطة النبي مع جماعة المسلمين الأوّلين. والاستنتاج الثالث هو أنّ الله لا يولي الأهمية ذاتها لكلمته في كل الأوقات فالقرآن يتلفّظ بحقائق متفاوتة الأهمية، فبعضها حقائق مطلقة وبعضها الآخر حقائق نسبيّة، وبعضها حقائق أبدية وبعضها الآخر حقائق ظرفية.

وهذا الأمر صحيح لدرجة أنّ الله قد قام أحيانا باستبدال بعض الحقائق بحقائق أخرى، وقرّر إلغاء بعض الآيات عبر آيات أُنزِلت في مراحل لاحقة.

وهذا هو مبدأ الإلغاء الذي نصّت عليه الآية الآتية: « ما ننسخ من آية أو نُنسِها نأتِ بخير منها أو بمثلها » (106،سورة البقرة).وانطلاقا من

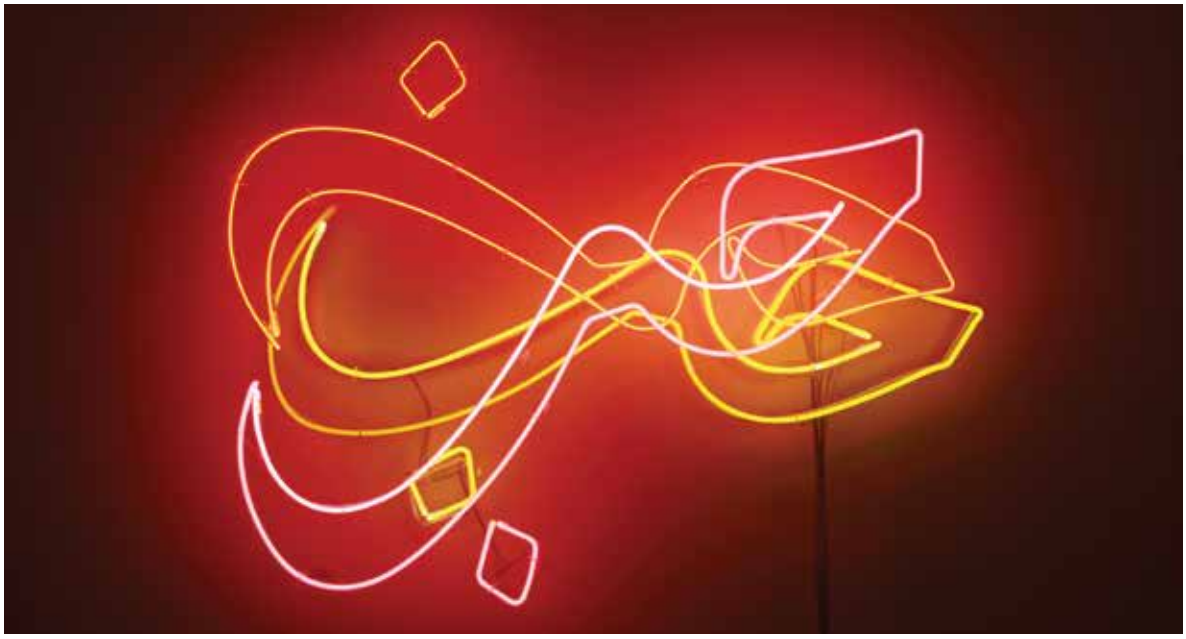

"عشيقان وثلاث كلمات"، نحت كهربائي للفنانة الجزائرية الفرنسية زليخة بوعبد الله، 2010

© Zoulikha Bouabdellah

هنا، يصبح مفهوم الزمن في القرآن مفهوما لا يمكن تجنّبه.

و هو في الواقع المفهوم الوحيد الذي يتيح تعزيز كليّة القدرة الإلهية. ولأن الله يتدخل في الزمان، فهو قادر على اللفظ بحقائق نسبيّة، متّصلة بهذا الظرف أو ذاك. وعندما تتبدّل الظروف، تتبدّل معها الحقائق النسبيّة. وإذا حدث أن قال الله أمرين متناقضين، فذلك لأن الحقائق قد تبدّلت في غضون ذلك. فالله دائما على حقّ عندما يتكلّم. وأمّا في ما يتعلق بتعليماته النسبيّة، فيتعيّن ربط كل واحدة منها فقط بالظروف التي كانت سائدة عندما أصدرها.

ولا يمكن أن يكون هناك آية "أفضل" من الأخرى، إذا تحدثنا في المطلق. فجميع الآيات متساوية في المطلق، ولا يمكن المقارنة في ما بينها. ولكي تكون آية ما "أفضل" من آية أخرى، يتعيّن أن تتسم الآيتان بالبعد النسبي ولا يمكن للآيتين أن تكونا كلاهما حقيقيتين إلاّ إذا ارتبطتا بظروف مختلفة، أي بتغيرات في الزمن.

يحتوي القرآن بالتالي على فترات زمنية متتالية أي على فترات « ما قبل » و« ما بعد » وحتى على فترات تمحو فترات أخرى أي أنه يتضمن بعدا زمنيا بحتا. ومنه استنتاج لا ريب فيه : فلا يمكن الخلط بين كلمة الله والله نفسه. ولا يمكن دمج كلمة الله بالذات الإلهية. ولا يمكننا، أو بالأحرى يتعيّن علينا ألاّ نقرأ القرآن كما لو كانت كلّ آية من آياته تجسّد الذات الإلهية وكما لو أنّ أيّ تحفّظ على أية من آياته قد يمثّل خيانة لله.

فما إن تصبح كلمة الله منفصلة عنه، وما إن تندرج في الإطار الزمني للبشر، حتّى يصبح من المستحيل الدفاع عن الفرضية القائلة بعدم قابلية القرآن للتقادم إذ هي فرضية لا تعكس أبدا حقيقة القرآن، حتى أنها تنقضها. والمؤمنون مدعوّون بالتالي، من قبل القرآن نفسه، إلى استخدام عقلهم وإلى ممارسة حرية الاختيار، للتمييز بين الآيات التي تلزمهم وتلك التي لا تعنيهم.

فلا يعود القرآن يشكل بالنسبة إليهم مجموعة من الوصايا والمحرّمات التي يتعيّن التقيد بها في جميع الأماكن والأزمنة. بل يعود إلى ما كان عليه على مدى 22 عاما بالنسبة للنبي وصحابته : كلمة مفتوحة على عالم يتعيّن إعادة بنائه؛ وتحريض على التفكير والعمل بمسؤولية تامة؛ وفرصة متاحة لكلّ شخص لإيجاد الطريق إلى الله عبر دروب الحياة.

محمود حسين اسم مستعار مشترك لكل من **بهجت النادي** و**عادل رفعت**، وهما مؤلفان فرنسيان من أصول مصرية أصدرا عددا كبيرا من المؤلفات المرجعية، نذكر منها « السيرة » [2005]، و « النظر في القرآن » [2009]، و « ما لا يقوله القرآن » [2013]، وآخرها « المسلمون أمام تحدي "داعش"» [2016].

ما لا تنطوي عليه الشريعة

يشرح الفيلسوف المغربي علي بن مخلوف أنّ الشريعة ليست قانونا في الأصل، إنما هي مصدر روحاني ذو توجّه أخلاقي من شأنه أن يكبح التجاوزات المحتملة للمسؤولين السياسيين. فكيف تحوّلت إلى قانون؟

علي بن مخلوف

تُستخدَم عبارة "الشريعة" استخداما متكرّرا في الخطاب الحالي، حاملة في طيّاتها مجموعة من التحديدات الوهمية: الأنظمة الإستبدادية، والعقوبات الجسدية، ونكران حقوق المرأة، والمطالب المتطرّفة للمجموعات الإرهابية، والقانون قديم العهد المطبّق في العصور الأولى للإسلام، ومجموعة من العقوبات غير المتماشية مع حقوق الإنسان، إلخ.

ومن الضروري أن ندرك أن تبنّي الشريعة كدستور بوصفها سلطة سامية لاتاريخية، يخدم قبل كل شيء الأنظمة الأكثر استبدادا، وذلك بضمان استمرارية سلطتها السياسية بناءً على قانون محصّن ضدّ أي تغيير.

وفي الأصل، تعني كلمة "الشريعة" في اللّغة العربية "المسلك"، و"الانفتاح"، و"الدرب"، و يؤكّد الأستاذ وائل حلاق من جامعة كولومبيا، أنّ «الشريعة شكّلت في الماضي نمط حياة وطريقة لرؤية العالم أكثر منه مجموعة من المعتقدات ».

وعملية إنتاج الشريعة كقانون سماوي تعكس جهدا تفسيريا يُعرف بـ "الاجتهاد" و هو جهد فكري يبذله رجال قانون مسلمون مُؤهّلون ويتمثّل في "ترجمة" الآيات القرآنية إلى معايير قانونية.

فبعد قرن واحد من نزول القرآن، تأسّست مدارس قانون عِدّة في البلدان الإسلامية، وقيّمت القانون السّماوي بطرق مختلفة. و مهما كانت التفسيرات التي وفّرَت، و بِغضّ النظر عن التباعد في الآراء بين مختلف رجال القانون والفلاسفة، أقرّت هذه المدارس جميعها بأنّ النصوص المقدّسة في الإسلام إنّما تُشكّل مصدرا للتشريعات لا مضمونا لها. وشدّدت على أن القانون السماوي غير ملحوظ ضمن النصوص المُنزّلة في شكله النهائي. وبعبارة أخرى، لا وجود لقانون يحمل إسم "الشريعة". كما لا وجود له في الأحاديث النبوية ولا في القرآن.

وفي حقبة زمنية أقرب إلينا، لفت عالم الأديان المصري علي عبد الرازق [1888-1966] انتباهنا إلى أنّ الشريعة هي مجرّد توجيهات روحانية، وليس لها أية توجّهات تشريعية، وإلى أنّه بالتالي يقع على عاتق الناس أن يحدّدوا طريقة تنظيم مُدنهم على أسس أخرى غير الشريعة.

الشريعة والسياسة

والنّقاش الكبير الذي استُهِلّ في القرون الوسطى لا يزال يتّسم بالأهمية نفسها في يومنا هذا. وقد تَواجَه في إطاره تياران فكريان متعارضان. يرى التيّار الأول أنّه لا بدّ من إضفاء نفحة سياسية على كلمة الشريعة، فتكتسب صفة التشريع ويصبح القُضاة، كما وصفهم مونتيسكيو في كتابه بعنوان "روح القوانين" [1748]، « الفم الذي ينطق بكلمات التشريع، وهم إزاء هذا التشريع كائنات لا حياة فيها، ولا قوّة لها على تخفيف قوته أو شِدّته ». أمّا التيار الثاني فيرى عكس ذلك، معتبرا أنّه من الضّروري إيلاء الاستقلالية الذاتيّة للقضاء والسماح للقضاة بأن يقوموا، كلّ في إطار محكمته، بفضل الإلهام الروحي الذي تُوفّره الشريعة، بإنشاء سلطة مضادة للسلطة السياسية.

ووفقا للتّيار الثاني هذا، يتمتّع الحاكم بسلطة تقديرية في مجالات اختصاص محدودة قادرة على الاستعاضة عن القانون الديني بإصدار لوائح إدارية قابلة للتطبيق في بعض المجالات والحالات، ومعروفة بالسياسة الشريعية [أي السياسة المطابقة للقانون المُنزّل]، وهي عبارة عن جهاز يُتيح بشكل خاص كبح التجاوزات التي قد يقوم بها المسؤولون السياسيون، كما يشرح وائل حلاق في كتابه بعنوان "مقدمة في القانون الإسلامي" [2009].

و في الواقع كانت دول ما قبل العصر الحديث تفصل بين الشريعة والسلطة السياسية، حتّى لو لم تكن الحدود واضحة تماما أو حتّى لو اختلفت هذه الحدود من دولة إلى أخرى. وفي المقابل، كانت الشريعة في الدول العصريّة، أي في مرحلة ما بعد الإستعمار، تُعتَبر جزءا من القانون الوضعي، حتّى لو كان مجال تطبيقها مقتصرا على الأحوال الشخصية [نظام الزوجية، وقانون الوراثة، الخ] في عدد كبير من البلدان. وترتكز النظرة العصرية للقانون على التقنين والمراقبة، الأمر الذي يجعل منه أداة من أدوات الدولة المحضة. وهذه الصبغة السياسيّة للشريعة ما هي إلّا ظاهرة حديثة.

الفتاوى تتغيّر مع مرور الزمن

فالشريعة، مثلما تبيّن لنا، مفهوم معرفي طالما كان مرنا وقابلا للتّوافق. والحكمة القائلة بأنّ «الفتاوى تتغيّر مع مرور الزمن » تُبرِز بوضوح أنّ الرأي القانوني لم يكن يُعتبر حقيقة ثابِتة وأبديّة. فالفتاوى بمعناها الأصلي تشكل في الواقع رأيا قانونيا دون أيّة قيمة تقريرية. وكانت القوانين تخضع للتعديل بفعل «تغيّر الأزمنة والظروف الإجتماعيّة»، كما يذكر وائل حلاق في كتابه بعنوان "السلطة، وقوة الاستمرار والتغيير في القانون الإسلاميّ" [2001]

وقد جرى الاعتراف صراحة بأنّ الحاجة إلى التّغيير تُمثّل مِيزة أساسية من ميزات القانون السماوي. وكان فيلسوف القرون الوسطى الفارابي [870-950] من بين الذين وصفوا الطريقة التي اعتمدها المشرّعون المتعاقبون لتعديل القانون. و قد شرح في كتابه "المِلّة" أنّ هذه التغييرات تهدف إلى:1] ملء الثغرات التي خلّفها المشرّعون السّابقون الذين لم يتمكّنوا من سَنّ قوانين غير تلك المتعلقة « بأكثر المسائل أهمية، وفائدة، وقيمة، وفعالية لـبناء المدينة »، تاركين المسائل الأخرى لغيرهم، 2] « إدخال تغييرات على عدد كبير من المسائل التي سنّ المشرّعون السابقون قوانين بشأنها وتسويتها بموجب نظام آخر، إذا اتّضح أنّ هذا النظام هو أكثر واقعية في ذلك الإطار الزّمني »..

ونستنتج مِمّا تقدّم أنّه لا يمكن فصل القانون السّماوي عن التّفسير البشري، شرط أن يُعهَد هذا التفسير لأشخاص أكفّاء لا لِمن لم يتلقّ أي تكوين في الشأن.
ويؤكد وائل حلاق في كتابه بعنوان "مقدّمة في القانون الإسلاميّ" أنّ « القانون الإسلامي يتميّز أيضا بالتعدّدية القانونية ». ويشرح أن هذا القانون « لا يُقرّ بالعادات المحلّية ويأخذها بعين الإعتبار فحسب، بل يقدّم أيضا مجموعة من الآراء بشأن الوقائع نفسها ».

ولهذا السبب، يرى وائل حلّاق أنّه من سخرية القدر أن يتّهِم الاستعمار الأوروبي القانونَ الإسلامي بالتشدّد ذلك أن غرض القوى الإستعماريّة الوحيد كان الاستعاضة عنه بقوانين نابوليونية جديدة.

ومن هنا بدأ تفكّك الشريعة وتكريس فكرة إنعدام البعد التّاريخي والزّمني فيها.

عندما تصبح التوجيهات الروحانية أمرا مفروضا بالقوّة

وفي النصف الثاني من القرن العشرين، استمرّت عملية التفكّك عندما أدرجَت عبارة "الشريعة" ضمن الأمور المفروضة بالقوّة، وذلك عبر الفتاوى، ومُنِحت سلطة تقريرية، في حين أنّ الفتاوى لا تشكّل سوى رأيا استشاريّا.

والواقع أنّه، مع تطوّر القانون المعاصر، والقانون النابع من سلطة الدولة، ومع تعميم النظام البرلماني في البلدان التي كانت خاضعة في السابق للإستعمار من قبل القوى المعروفة بالقوى الغربية [خاصة منها فرنسا والمملكة المتحدة]، تمّ إقحام الشّريعة في القوانين المنسوخة في أغلبيتها عن القوانين النابوليونية. ويَشرح كلّ من بودوان دوبري وليون بوسكينز في مقدّمة كتابهما بعنوان "الشريعة اليوم، الإحالات إلى القانون الإسلاميّ"، أنّ «الإطار المتشدّد للإجراءات البرلمانيّة» هو الّذي قوّى سلطة القانون الإسلامي.

وتختلف تسمية الشريعة في دساتير البلدان الإسلامية الحاليّة من بلد إلى آخر. فيُشار إليها تارة بمعنى "التقيّد" وطورا بمعنى "المرجع"، ولكن لا يُشار إليها أبدا بمعنى "الاشتقاق" إنطلاقا من المعايير القانونية.

ولا بدّ من الإقرار بأنّ العِبارة ليست واضحة بما فيه الكفاية ولا تحيل إلى مجموعة من المعايير المعروفة من الجميع حتّى نتمكّن من القول جدّيا بأنّ الشريعة مُطبّقة في هذا المكان أو ذاك. وكما قال بودوان دوبري، فإنه « كلّما تحدّثنا عن الشريعة، كلّما صعب علينا فهم حدودها ووظائفها ». فكيف يمكننا أن نحدّد مفهوم الشريعة تحديدا فعليّا خارج نطاق العلاقات في السّلطة، سواء كانت سياسيّة أو إيديولوجية؟

علي بن مخلوف [المغرب] هو أستاذ في الفلسفة في جامعة باريس إيست-كريتاي وعضو في المعهد الجامعي لفرنسا. فمن "ابن رشد" [2000]، إلى "المحادثة كطريقة للعيش" [2016]، مرورا بإدارة الكتاب الجماعي تحت عنوان "الفارابي، بغداد في القرن العاشر" [2007]، أصدر بن مخلوف عددا كبيرا من الكتب كرّسها بشكل خاص لكبار المفكّرين في الشرق والغرب.

صورة من مجموعة "قبّعات وصوامع"، للفنانة الإيطالية السنغالية ميمونة غراسي، المبدعة في الفنون المتعدّدة الوسائط، 2011 © Maïmouna Guerresi
http://www.maimounaguerresi.com

مُؤلّف مرجعي

جوانب مختلفة من الثقافة الإسلامية، منشورات اليونسكو، 1977-2016

ناهد أفروس كبير

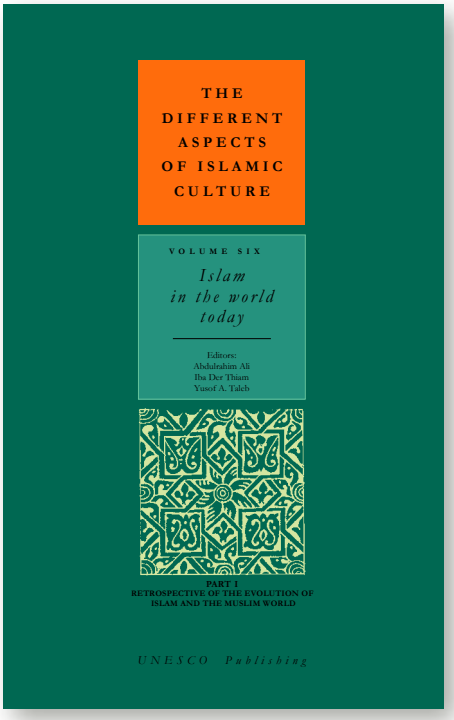

© UNESCO

يتّسِم العصر الذي نعيشه بقلة فهم مناطق عديدة من العالم، للمسلمين ولدينهم. ففي الدول الغربية، كثيرا ما يُنظر إليهم بشكل كاريكاتوري على أنهم مجموعة متجانسة ومتراصّة لأفراد يمارسون العنف ويضطهدون النساء. وفي بعض الدول الآسيوية، حيث تقاسموا منذ قرون نفس اللّغة ونفس الثقافة مع غير المسلمين، فإن نظرة هؤلاء إليهم تغيّرت فجأة.

منذ اعتداء 11 سبتمبر 2001، أصبح خطاب «نحن ضد الآخرين» يُستعمل بغاية عزل المسلمين عن بقية المجتمع. ولقد ذهب بعض السياسيين إلى حد المُطالبة بمنع كل هجرة إسلامية أو إنهائها.

إنه من الأهمية بمكان الإعتراف بلجوء أقلّية ضئيلة من المسلمين إلى الإرهاب. إلّا أنه من المهمّ أيضا التذكير بأن المسلمين هم ضحايا اعتداءات إرهابية بنفس القدر الذي يُعانيه غير المسلمين، إن لم نقُل أكثر.

أمام عديد الأحكام المُسبقة التي يجد المسلمون اليوم أنفسَهم مُضطرّين لمواجهتها، فإن مؤلّف "جوانب مختلفة من الثقافة الإسلامية" الصّادر عن اليونسكو بأجزائه الستة [1977 - 2016]، أتى ثريّا بالمعاني وفي الوقت المناسب. فهو يُمكّن القرّاء من الحصول على معلومات كثيرة عن الإسلام وعن أسس الدّين من حيث المعتقد والممارسة، مرورا بمختلف المدارس الفكرية عبر العصور.

وقد إنطلق إنتاج هذا المؤلف سنة 1977، في إطار عمل عملاق حول المسارات التاريخية العامة والأقليمية، انتهى سنة 2016 بصدور الجزء الأوّل والجزء السادس من المجموعة، الذين يعتبران مساهمة هامة في النقاش القائم حاليا حول الإسلام.
وبالتقدّم في قراءتنا لهذا المُؤلّف، ندرك أسباب بروز المفاهيم المُتطرّفة المُتأتّية من بعض فروع الإسلام، وكيف شجب، على مرّ القرون، عديد المُفكّرين المسلمين التأويلات الضيّقة والدغمائية للقرآن، داعين المؤمنين إلى إعمال العقل.

وبخصوص موضوع المرأة، يُعطي هذا المُؤلّف أيضا إضاءات مفيدة حول ما كانت تتمتّع به المرأة من ميزات خلال العهدين العباسي والأيوبي، بين القرنين الثامن والثالث عشر، وحول الأصوات النسوية المسلمة في بداية القرن العشرين في العالم العربي.

كما نجد، عبر أجزاء هذا المُؤلّف المُخصّص للثقافة الإسلامية، مساحات هامّة تُعدّد مساهمات الحضارات الإسلامية، سيما في مجالات العلوم كالطب، والرياضيات، وعلم الفلك، إذ ندين لها باختراع الجبر على سبيل المثال.

كما يكتشف القارئ أيضا الماضي المجيد للسلطنات الإسلامية التي نجد لها اليوم آثارا ملموسة في الفن و المعمار على غرار "تاج محل" في الهند.

وبفضل تجارة الحرير والتوابل، فإن عديد دول المشرق الإسلامية كانت فعلًا أكثر رخاء من مثيلاتها في الغرب المسيحي، على العديد من الأصعدة وفي العديد من الأزمنة. إلّا أنه، في حين بدأت الدول المسلمة في آسيا وفي إفريقيا تتطوّر بفضل المبادلات التجارية، وضع الغرب حدّا لانتعاشها بتركيز النظام الاستعماري.

مشهد لداخل المسجد النبوي، المدينة، العربية السعودية
© Enciktat / Shutterstock

ويتناول المُؤلّف بالتحليل التوتّرات حديثة العهد داخل الدول الإسلامية أو في ما بينها، مثل الثورة الإيرانية، والحرب بين العراق وإيران، والصعود القوي لحركة طالبان، والصراع في كاشمير، والديناميكية بين دول القانون الوضعي والقانون الإسلامي، والفساد، وضعف الخدمات الصحّية، والفوارق الاقتصادية، والأمّية.

مسألة الأقليّات المسلمة في عالم اليوم، وهو موضوع تولّيت دراسته في هذا المُؤلّف، هو موضوع على غاية من الأهمّية، باعتبار أن المسلمين المنتمين لهذه التجمعات والمسلمين المهاجرين هم، تحديدا، مَن يعانون من التهميش والإسلاموفوبيا والعنصرية، كما بيّنت في بداية هذا المقال.

هذه السلسلة من منشورات اليونسكو، على اختلاف قرّائها، من مُثقّفين راغبين في الاطلاع إلى الأكاديميين، ومن المجتمع المدني إلى السياسيين أصحاب القرار، تفحص أيضا الجوانب الإيجابية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، بتقديم مقترحات من أجل تفاهم مشترك أفضل.

ناهد أفروس كبير هي مؤلفة الجزء الخاص بالأقليات المسلمة في عالم اليوم، المنشور ضمن "جوانب مختلفة من الثقافة الإسلامية". هي أصيلة بنغلادش وتحمل الجنسية الأسترالية، باحثة زائرة في مركز الأمير الوليد بن طلال للتفاهم الإسلامي المسيحي بجامعة جورج تاون بواشنطن د.س بالولايات المتحدة. لها مؤلفات عديدة حول الأقليات والهجرة الإسلامية في العالم، يتمحور آخرها حول المسلمين الأمريكيين «Muslim Americans: Debating the Notions of American and Un-American» (2017).

ضيف العدد

تعيين الفادي "فنان اليونسكو من أجل السلام" من قبل إيرينا بوكوفا، المديرة العامّة لليونسكو، باريس 2016

© UNESCO / P. Chiang-Joo

الفادي يرفعُ رايةَ الإبداع الإفريقي

يعيد الفادي إحياء صناعة النسيج ويعزّز قيمة الخبرات التقليدية في القارّة الإفريقية، اقتناعا منه بأنّ «الثقافة تشكل نقطة انطلاق أساسية للتنمية». وقد أصبح الفادي، وهو مؤسس المهرجان الدولي للأزياء الإفريقية ومصمّم الأزياء الذائع الصيت على الصعيد العالمي، رمزا للنضال في سبيل التقدّم الإقتصادي. وحلمه الأخير على وشك أن يتحقق عبر إنشاء مدرسة عليا للأزياء والفنون في نيامي. وفي ما يلي لقاء مع "ساحر الصحراء".

الفادي يجيب عن أسئلة ياسمينا شوبوفا

تصف نفسك بأنك «إفريقي أكثر من الأفارقة أنفسهم». من أين لك هذا الشعور؟

أنا إفريقي بالدم، لكن أيضا بالعقيدة. فقد ولدت في تومبوكتو من أم مغربية ووالد نيجيري من أصول عربية، وترعرعت في النيجر وأكملت قسما من دراستي في توغو. كما أنّ لدي أقارب في كل من المغرب، وموريتانيا، وساحل العاج. وجميع هذه البلدان تشكّل جزءا من تمازج الأجناس الذي أتّسمُ به والذي أرفعه راية للوحدة والكرامة الإفريقية.

ما الذي أتى بك إلى عالم الأزياء؟

أتمتّع، منذ صغري، بحِس إبداعي لكنني لم أتمكن من التعبير عنه إلاّ بعد وفاة والديّ. فبالنسبة إليهما، كان من سابع المستحيلات أن أعمل في مجال الأزياء! وكانا يعتبران أن الأزياء "عمل خاصّ بالنساء" ومهنة "لا تتماشى مع الدّين الإسلامي".

ولكي لا أجرح شعورهما، حصلت على إجازة في السياحة في باريس. وكنت أدرس في النهار وأحضر عروض الأزياء في المساء. فانتهى بي المطاف بأن تعرّفت على عدد من كبار مصمّمي الأزياء في تلك الفترة. وعدت إلى بلادي في عام 1980 حاملا شهادة في السياحة، فتوظّفت في مديرية السياحة التابعة لوزارة التجارة، في نيامي.

وبعد ثلاث سنوات، عرضت مجموعتك الأولى في النيجر..

صحيح. في البداية، كنت أتمنّى بعث مشروع خاص بالمنسوجات الإفريقية بالتعاون مع المصمّم المالي الكبير الراحل كريس سيدو. إلاّ أنني وجدت نفسي وحيدا بعد رحيله، فاستجمعت قواي كرجل عصامي لإنشاء مشغل للنسج والتّطريز. ولم أتلق تكوينا في هذا المجال إلّا في مرحلة لاحقة في مشغل "شاردون-سافار" بباريس.

كيف موّلت هذا المشروع؟

إنطلقت باستخدام مالي الخاص وتعاونت مع معمل نسيج في النيجر. هكذا ولدت منسوجات الفادي. ثم استفدت من برنامج دعم المغادرة الطوعية للوظيفة العمومية، وتحصّلت على قرض من صندوق دعم لبعث المشاريع، وعلى إعانة مالية من الاتحاد الأوروبي. واشتريت آلات خاصة بي، وعيّنت موظفيّ الأوائل: فنشأت بالتالي علامة الفادي التجارية.

علامة تجارية إكتسبت مكانة رفيعة المستوى في باريس عام 1985

نعم، وكان ذلك في إطار المعرض الدولي للسياحة. وقد حضر لتشجيعي كلّ من باكو رابان وإيف سان لوران وغيرهما من المصمّمين وعارضات الأزياء ممّن عرفتهم خلال أيام الدّراسة.

إلاّ أنّ الحدث الأهم والأبرز يبقى المهرجان الدولي الثاني للأزياء، الذي نظّم في باريس عام 1987، والذي ضمّ جميع الجهات المعنية بعالم الأزياء. وقد شاركَت فيه ألف عارضة، وحضره عشرات الآلاف من الزوّار، وشاهده مليار شخص عبر التلفزيون من حول العالم! فيا له من شعور رائع أن يرى المرء مجموعتَه تُعرَض في الهواء الطلق في حدائق تروكاديرو، ويرافقها الجِمال والخطباء الآتين من إفريقيا!

شكّل هذا المعرض تجسيدا لجهودك كافة، لكنه شكّل أيضا اعترافا جميلا بعمل الحرفيين.

في الواقع، أنا أعمل مع حرفيين موهوبين للغاية. فقد استخدمت منذ البداية أكثر من إثني عشر نسّاجا وحوالى عشرين تقنيا مختصا في الخياطة والتطريز وشك اللّآلئ. وفي مرحلة لاحقة، كوّنت فريقا من الصاغة في النيجر، تلاه فريق من الدبّاغين في المغرب.

وفي العقد الأول من الألفية الثالثة، قمت ببعث مجموعة من مواد التجميل والعطورات أنتِجت بواسطة مواد إفريقية أصيلة. وفي الختام، أطلقت في عام 2005 مجموعة من الألبسة الرياضية من جينزات، وتيشرتات وغيرها- بأسعار في متناول الشباب.

وأنا أناضل من أجل إبراز قيمة الشعوب الإفريقية، وتشغيلها، والحثّ على الاعتراف بإبداعاتها. وأصنع أنسجتي في بلدان مختلفة مثل النيجر، ونيجيريا، وغانا، وساحل العاج، ومالي، والسنغال، والمغرب. وأكافح من أجل إعادة فتح مصانع النسيج في إفريقيا.

بأية وسائل تكافح؟

على سبيل المثال، حضرت في توغو عام 2014، مهرجانا بعنوان "الفوطة الأفريقية تحتفل" لدعم إعادة إطلاق صناعة النسيج في هذا البلد. فقد كان في توغو، وتحديدا في قرية داتشا الواقعة على مقربة من أتاكبامي، معمل يشغل ثلاثة آلاف شخص. إلاّ أنّه تمّ إغلاقه منذ حوالى خمسة عشر عاما، وبقي العمّال عاطلين عن العمل. ومنذ ذلك الحين، أصبح النسيج الإفريقي المشمّع ينتج في مصانع هولندية. ومع كامل احترامي لزملائنا الأوروبيين، يبدو لي أنّنا في موقع أفضل منهم لإنتاج المنسوجات الإفريقية في إفريقيا نفسها.

وبوصفي مصمّما للأزياء، يكمن الهدف الأساسي من مشروعي في إعادة إحياء صناعة المنسوجات الأفريقية وتعزيز قيمة الخبرات التقليدية. ومساعيّ جميعها موجّهة نحو تحقيق هذا الهدف.

ما هو عدد الأشخاص الذين تشغّلهم حاليّا؟

لديّ بين 150 و200 موظف، بالإضافة إلى المهنيين الذين أتعاقد معهم ظرفيا. وأعتبر أن دور مصمّم الأزياء يتمثل أيضا في خلق الوظائف. وأنا مقتنع، منذ البداية، بأنّ الثقافة تشكّل نقطة انطلاق أساسية لتنمية بلدٍ مَا. وسأعطيك مثالا على ذلك. عندما إنطلقت، كانت النيجر تعدّ رابع أكبر بلد منتج لليورانيوم. إلاّ أنني كنت أكرّر دائما أنّ الأزياء في النيجر يمكن أن تشكّل مصدر غنى أكثر ضمانة من اليورانيوم، من دون أن يأخذني أحد على محمل الجدّ. لكن، في غضون ذلك، انخفض سعر اليورانيوم، في حين شهدت الأزياء ازدهارا كبيرا!

أنت تترأس الاتحاد الأفريقي لمصمّمي الأزياء منذ عام 1994. فما هي مهامّك الأساسية؟

أبصر الإتّحاد النور في غانا، ونُقِل مقرّه الرئيسي عدّة مرّات، وذلك بسبب الأوضاع السياسية السائدة في البلدان الأفريقية. وعليّ أن أعترف بأننا لا نملك الإمكانيات اللازمة لتحقيق طموحاتنا، لكنني أقوم بكلّ ما في وسعي للمساعدة على تطوير الأزياء والتصاميم الإفريقية على تنوّعها. وتتمثّل إحدى مهامي الرئيسة في تعزيز حماية العلامات التجارية، وأتعاون بشكل خاص مع كلّ من المنظمة الإفريقية للملكية الفكرية، والمنظمة العالمية للملكية الفكرية لتشجيع انضمام البلدان الإفريقية إلى النظام العالمي للعلامات التجارية.

لقد أنشأتَ مهرجانا للأزياء في قلب الصحراء! أخبرنا عن مغامرتك هذه.

هذا الحدث هو محلّ إفتخاري! لقد انتظم المهرجان الدولي للأزياء الإفريقة لأوّل مرّة في صحراء تيغيديت في النيجر عام 1998، تحقيقا لعدد من أحلامي ومنها تعزيز قيمة الابتكارات الإفريقية، والترويج لمصمّمي الأزياء الشباب، وتنظيم اللّقاءات، وتمازج الأجناس، والتلاحم، والتنوّع، والسّلام... وهي قِيم أوليها أهمية قصوى.

وعلينا ألاّ ننسى أنّه خلال إنعقاد الدورة الأولى لهذا المهرجان، كانت قبائل الطوارق لا تزال في حالة تمرّد في النيجر. ولم يتِمّ اختيار عمامة الطوارق المنمّقة شعارا للمهرجان من باب الصدفة، بل أردتُ من خلال ذلك أن أعيد لهذه العمامة عراقتها، وأن أحوّلها إلى رمز للسلام لا للحرب.

ولقد نُظّمَت دورة عام 2013 أيضا تحت شعار السلام

في الواقع، إخترنا لتلك الدورة شعار "من أجل قارة إفريقية تُمتزج فيها الأجناس ويعمّ فيها السلام"، وكرّمنا خلالها نيلسون منديلا بوصفه شخصية ترمز إلى السلام. وقمت أنا شخصيا بعرض مجموعة أزياء من الطراز الرّاقي في اللون الأبيض، كما نظمت عرض أزياء في الشوارع حيث كان الجميع يرتدي اللون الأبيض. وكانت هذه اللحظة عظيمة ومفعمة بالعواطف!

وتُرافق عبارات السلام، والثقافة والتنمية جميع دورات المهرجان الدولي للأزياء الإفريقية. ويشارك في المهرجان الذي ينتظم كل سنتين، مصمّمون من الدول الإفريقية كافة، فضلا عن مشاركين من أوروبا، وأمريكا، وآسيا. وعلى الرغم من أنّ هدف المهرجان هو تكريم إفريقيا، إلاّ

الفادي في باريس، مايو 2016

© Leonardo Džoni-Šopov

أنّ اليوم الأخير منه يجمع العالم بأسره على مِنصّة واحدة.

وفي شهر ديسمبر 2016 قمنا بتنظيم الدورة العاشرة للمهرجان الدولي للأزياء الإفريقية في حلبة الألعاب التقليدية في أغاديس شمال النيجر، تحت عنوان "التعليم والصناعة من أجل قارة إفريقية تمتزج فيها الأجناس ويعمّها السلام"، وذلك بالتعاون مع غرفة المِهن والحِرف في النيجروقد أسعدني ذلك كثيرا، لأنّنا كنا قد اضطررنا في عام 2015 إلى إلغاء المهرجان الذي كان من المفترض تنظيمه في نوفمبر، بسبب الأحداث التي هزّت العالم وبالخصوص منطقة غرب أفريقيا. وحتى نتفادى أيّ خطر محتمل خيّرنا ضمان سلامة الجمهور والمشاركين.

وقد ترأّس مراسم إفتتاح الدورة العاشرة عصمان ملام عيسى، الوزير المكلف بالنهضة الثقافية والفنون والتحديث الاجتماعي الذي أعلن بهذه المناسبة قراره دعم المهرجان بوصفه أداة دائمة للتنمية عبر صناعة الأزياء والأزياء الراقية. وقد تمّ تصنيف المهرجان كأبرز حدث ثقافي في النيجر، الأمر الذي سيتيح لنا تنظيمه، من الآن فصاعدا، على أساس سنوي.

هل فتح المهرجان مجالاً للمصمّمين الأفارقة الشبّان؟

لا بل إنّهم يحتلّون مكانة متميّزة فيه! إذ نقوم بتنظيم مسابقة لمصمّمي الأزياء الشبّان كل سنتين بالتعاون مع الجمعية الفرنسية للعمل الفني منذ عام 2003 وانضمّ إلينا منذ 2010 المعهد الفرنسي.

ونتلقّى في كلّ دورة من 250 إلى 300 ملف. ويعهد لِلجنة تحكيم دولية إختيار ثلاثة فائزين خلال اجتماع لها يلتئم في متحف الفنون الزخرفية بباريس. وقد تولّى الاتّحاد الاقتصادي والنقدي لغرب إفريقيا تمويل جوائز المسابقة منذ خمس سنوات. كما خصّصنا جائزة لعارضات الأزياء الإفريقيات لتعزيز حظوظهن في إقتحام الأسواق العالمية.

وماذا عن "قوافل الفادي"؟

لقد استوحيتُ هذه الفكرة من نمط عيش الرحّالة. فإثر كل دورة من المهرجان الدولي للأزياء الإفريقية، تطوف مجموعة من حوالى أربعين شخصا (من خيّاطين، وعارضات أزياء، ومتخصصين في الأزياء، وممثلين عن الجهات الداعمة للمهرجان، وصحفيين) أنحاء مختلفة من القارة الإفريقية حيث ننظّم عروض أزياء الفادي. وبهذه الطريقة نلتقي المواهب الجديدة في المنطقة، وتقوم لجنتنا الكريمة بانتقاء المواهب التي ستشارك في المهرجان القادم.

هل لديك مشاريع أخرى للترويج للمصمّمين الشبّان في إفريقيا؟

إنّ المشروع الأهم بالنسبة إلي حاليّا هو إنشاء مدرسة دولية عليا للأزياء والفنون في نيامي. وهو مشروع يخاطرني منذ عشر سنوات. و تمكّنت منذ سنتين فقط من الحصول على قطعة أرض تبلغ مساحتها ثلاثة آلاف متر مربّع منحتني إيّاها النيجرمشكورة. وأنا في انتظار الحصول على تمويلات إضافية لأتمكّن من تحقيق حلمي.

المخططات جاهزة. وسوف ننشئ مشغلا ومصنعا يتّسع لحوالى ثلاثين خيّاطا من النيجر ومن أقطار أخرى. وسيتاح لهم تصميم مجموعات أزياء خاصة بهم، وتصنيعها وبيعها على عين المكان. كما خططتنا لإنشاء مساكن للمصمّمين والمدرّسين الأجانب، ومحلات تجارية، ومتحف للموضة يضم عيّنات من نماذج المنسوجات الإفريقية، وقاعات مخصصة لعروض الأزياء.

وهذه الفكرة مستوحاة جزئيا من المدرسة 42 التى أسّسها كزافييه نيل صاحب شركة فري للاتصالات، الذي يعطي الأولوية للمواهب وللعمل الجماعي. ويساعدنا على تصميم المشروع مشغل "شاردون-سافار" الباريسي.

عرض أزياء الفادي في أسبوع الموضة السمراء "بلاك فاشن ويك"، باريس 2013

© Dou Matar Gueye

تنشر « رسالة اليونسكو» هذا الحديث مساهمة منها في الإحتفال باليوم العالمي لإفريقيا في 25 مايو.

صور من الدورة الأولى للمهرجان الدولي للأزياء الإفريقية في صحراء النيجر سنة 1998

© Laure Maud Photographe, 1998

وسوف نبني المدرسة بفضل دعم الجهات المانحة. وحتّى نضمن استقلاليّة المشرع لن يكون التكوين مجانيا، دون أن يكون باهظ الثمن. وستقدم مؤسّسة الفادي مِنحا للطلبة وسنوفّر لهم إمكانية تغطية تكاليف دراستهم تغطية جزئية عبر بيع منتجاتهم في المحلات التجارية التابعة للمدرسة. وستُنشئ المدرسة أيضا "مَشْتلا للثقافة" مخصّصا للصّغار البالغين من العمر تسع أو عشْر سنوات، مع توفير منح للتدريب في مجال الإبداع الفني والأزياء، وذلك لمدة تتراوح من ستّة إلى ثمانية أشهر.

وما دور مؤسسة الفادي؟

لقد بدأت عام 2000 بتأسيس جمعية الفادي التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالمهرجان الدولي للأزياء الإفريقية والتي تعمل أساسًا في مجال التعليم. ونظّمتْ، على سبيل المثال، حملات تبرع عديدة عبر التلفزيون، كانت إحداها في عام 2012 لصالح اللّاجئين المتوافدين من مالي وقد أحرزت على نجاح كبير. ونفذنا هذه الحملات بالشراكة مع المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين وجمعنا حوالى 52.000 يورو و80 طنا من الحُبوب.

وأقوم حاليا بإنشاء مؤسسة "تراث الفادي" التي ستُعنى بشكل خاص بتكوين النساء والفتيات، فضلا عن معالجة مسألتي الصحة وسوء التغذية. وأنا أقول دائما، على سبيل المزاح، إني أثق بالنساء أكثر من الرجال: فالنساء ينجحن في كسب المال، ويطعمن أولادهن ويرعينهم، ويرسِلنهم إلى المدرسة، في حين قد يميل الرجال إلى استعمال هذا المال بهدف الزواج بثانية!

سيد أحمد الفادي سيدنالي، المعروف "بالفادي" والملقب بـ"ساحر الصحراء"، ولد في الأول من يونيو عام 1957 في تومبوكتو، مالي، في أسرة من التجّار. وترعرع في النيجر مع إخوته الثمانية. وهو بدوره أب لستة أولاد، ويعيش حاليا بين الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا والقارة الإفريقية. وقد عُيّن الفادي "فنان اليونسكو من أجل السلام" في 25 يناير 2016. وانضمّ إلى تحالف الفنانين من أجل تاريخ إفريقيا العام التابع لليونسكو في 23 أبريل من نفس السنة.

عرض موسيقي لشوشو فالديز في البيت الأبيض بتاريخ 29 أبريل 2016، بمناسبة اليوم الدولي لموسيقى الجاز

© Steve Mundinger, 2016

عازف البيانو شوشو فالديز: «الجاز، موسيقى بلا حدود»

بعد واشنطن والبيت الأبيض سنة 2016، أتى دور مدينة هافانا لتصبح العاصمة العالمية لموسيقى الجاز، بمناسبة الدورة السادسة لليوم الدولي للجاز، يوم 30 أبريل. وخلال التحضيرات لهذا الحدث، التقينا واحدا من أبطاله، عازف البيانو الكوبي شوشو فالديز ليُوضّح لنا ما ينتظره من هذا الحفل.

أجرت الحوار

لوسيا اغليزياس كونتز

شاركت، السنة الماضية، في اليوم الدولي للجاز. ماذا بقي لك منه من ذكريات ؟

كان إستثنائيا. وهي أول مرّة ألج فيها البيت الأبيض. لم أكن أتصوّر أبدا أن ذلك سيحدث يوما ما. وممّا زاده روعة هو أننا، نحن موسيقيي الجاز، نُشكّل ما يُشبه العائلة الدُّولية. كلّ منّا تقريبا، سبق له أن شارك في نفس المهرجانات عبر العالم، لكننا في هذه المرّة كنا نوعا ما في إجتماع عائلي، وكنّا جميعا في تناغم كبير على المستوى الموسيقي. لقد صاحبني عازف كونترباس من أمريكا الشمالية وعازف قيثارة إفريقي... كما كان عازف البوق من أستراليا وعازف الإيقاع هنديا : كانت تجربة لا تُنسى، خاصّة وقد كان من الحاضرين كل من شيك كوريا وأريثا فرانكلان وهربي هانكوك وأل جارو ومركوس ميلر... أي أكبر نجوم الجاز مجتمعين، وهو أمر نادر جدا. لقد بيّنّا أن الجاز وصل إلى حدّ من العولمة جعل الموسيقيين من مختلف أصقاع العالم قادرين على الالتقاء وعلى انجاز عمل موسيقي مشترك. لقد كانت فرصة غير مسبوقة، شبيهة بعناق بين أقارب، تمجيدا لكونية الجاز.

ستُشارك هذه السنة في الاحتفال بيوم الجاز في هافانا. هل تنتظر منه شيئا بالخصوص؟

نعم. أنا فعلا مدعو للمشاركة في هافانا، وأنا مسرور جدا للالتقاء مُجدّدا بموسيقيين من كل العالم. وأنتظر ما اعتاد أن يُعطيه الجاز، ألا وهو الطابع الآني للظاهرة الموسيقية. نلتقي ونقرّر اللّون الموسيقي الذي سنرتجل فيه. ومن هذا المنطلق، كل منّا يعرض طريقته وأسلوبه، علما وأن كلاّ منا يختلف عن الآخر. إن أعدت العمل ألف مرّة، تحصّلت على ألف شيء مختلف، وفي ذلك تكمن روعة الجاز. فهو يتغيّر باستمرار، ويجعل للمشاهدين رأيا جديدا في كل مرّة. ما زلنا لا نعرف ماذا سنعزف. وهذا أفضل. سنعزف بشكل عفوي، كما نفعل دائما، لأن الارتجال هو خاصيّة الجاز. سنعزف في مسرح أليسيا ألونسو الذي تتوفّر فيه صوتيّات ممتازة وبيانو رفيع الجودة أهدته شركة شتاينواي لوزارة الثقافة في أكتوبر 2015 في حفل عزفتُ فيه إلى جانب عازف البيانو الكبير لانغ لانغ صحبة الأوركسترا الكوبية للموسيقى السنفونية. نحن نشعر، من الآن، بتأثّر بالغ لما سينبع منّا هذه المرّة، وأتوقّع أن يكون تأثّر الجمهور أكبر.

تمّ تعيينك من قبل المنظمة العالمية للتغذية سفيرا للنوايا الحسنة. ما الذي دفعك لقبول هذا التعيين ؟

بدا لي من المهمّ أن أقدّم مساهمتي للمنظمة العالمية للتغذية التي تتدخّل حيثما يستوجب التدخل في مختلف مناطق العالم. ولقد ألّفت اللحن الموسيقي المصاحب للشريط الوثائقي حول الزلزال الذي دمّر هايتي سنة 2010. قمت بهذا العمل لأن كامل واردات الشريط كانت مُخصّصة لإعادة بناء البلاد.

هل لك أن تُبيّن لنا طريقة عملك في الموسيقى ؟

كما قلت سابقا، يرتكز الجاز، في جزء كبير منه، على الارتجال. لكن تُوجد أيضا ترتيبات حيث تكون الموسيقى مكتوبة، وهو ما نُسمّيه باللغة الكوبية "بي فورزادو"، أي اللون المُزمع اتّباعه في الارتجال. كما نكتب أيضا البنية الموسيقية وبعض كتل التناغم مع ترك فضاء للعازف حتى يتمكّن من الإبداع. وفي ما يخصّني، فلقد تمرّنت باستمرار على وضع قواعد إيقاعية لتجاربي المتواصلة مع جذور الجاز الإفريقية والكوبية : المزج بين الطبل "يوروبا" والطبل "باتا" والكونغا الكوبية... هذه الصيغ متعدّدة الإيقاعات ملائمة جدا لتحديد خط إيقاعي يُمكن الإعتماد عليه عند الارتجال، أو نغمة موسيقية يمكن أن تكون منطلقا لاندماج الآلات النحاسية في ما بينها وحتى مع البيانو، لخلق مجال للارتجال. وتعطي هذه الترتيبات أرضية مكتوبة مشتركة لتُقرأ ثم لتتطوّر، فلا يبقى إلا التعمّق عند الارتجال.

هل تعزف دائما مع نفس الموسيقيين ؟

أشتغل كثيرا ومنذ زمن بعيد مع نفس المجموعة "افرو كوبن مسنجرز". كما يحدث أن أكتفي بالعزف على البيانو أو بالعمل مع أوركسترا، وهو وضع مختلف. قمت حديثا بتسجيل اسطوانة في نيويورك مع أوركسترا أرتورو أوفاريل... وباختصار، لا أتّبع طريقا واحدة وإنما أتعامل مع كل الوضعيات لأنني أحاول ألا أكون مُقيّدا، بل بالعكس، أحاول التنويع وأبحث باستمرار عن مسالك جديدة.

كيف تعلّمت البيانو ؟

سوف أروي لك نادرة، وإن كنت لا أتذكّرها، وإنما قيل لي بأن بدايتي كانت هكذا. كان والدي عازف بيانو وكان نائب مدير أوركسترا ملهى تروبيكانو، وهو أهمّ ركح للموسيقى في كوبا وشهد

صورة لشوشو فالديز إلتقطها المصوّر فرانك ستيوارد © Franck Steward 2016

مرور أكبر موسيقيي الجاز في السنوات 1940 و1950. وحدث أن عاد أبي ذات ليلة إلى المنزل، وكان عمري ثلاث سنوات، ليأخذ أوراق التوليفة الموسيقية الخاصة بالجزء الثاني من الحفل والتي كان قد نسيها. وعندما عاد من المسرح، سمع رنين عزف على البيانو، وكانت قطعة تُعزف بكلتا اليدين، واكتشف أنني أنا الذي كنت عازف القطعة. فطلب من جدّتي ومن والدتي إن كان قد أعطاني أحد دروسا، وكان جوابهما بالنفي وبأن كل ما في الأمر هو أنني، عندما يخرج، آخذ مكانه وأحاول تقليده. هكذا كانت خطواتي الأولى، حسب ما يبدو. بعد ذلك، أعطاني أبي بعض الدروس. وعند بلوغي سن الخامسة، أتى لي بأستاذ ليُعلّمني في المنزل الجانب النظري والسلّم الموسيقي. وما أن بلغت سن التاسعة حتى دخلت مدرسة للموسيقى لتعلّم البيانو.

تولّيت بعد ذلك العزف مع والدك. كيف كان احساسك وأنت تعزف مع بيبو فالديز ؟

كان شيئا رائعا. والإحساس كان مُضاعفا، إذ كنت أعزف في ذات الحين مع أستاذي ومع والدي. وبما أنني كنت دائما معجبا بفن بيبو، فكلّما عزفنا معا إلا وتعلّمت منه الكثير. لقد بدأت تقديم العروض معه في سن الخامسة عشر، وكنا نعزف معا على آلتي بيانو للتلفزيون. أظن أنني كنت أكثر المُعجبين ببيبو فالديز. لقد كان موسيقيا موهوبا وأبًا رائعا وأستاذا مُتشدّدا للغاية. وفي أيام الأحد، كنت أحب الذهاب إلى السينما، وحتى عندما أكون مُتأهّبا للخروج، كان يطلب منّي الجلوس لأعزف أمامه على البيانو ما سأقدّمه بالغد في المدرسة. وإذا اعتبر أن مستوى العزف غير مرضي، كان يمنعني من الذهاب إلى السينما ويطلب مني البقاء لمواصلة التمرّن. إنني مُعترف له بالجميل لأنني تلقّيت أكثر ما يمكن من الدروس وأرغمت نفسي على اتّباع خطّه الموسيقي.

وهل علّمت بدورك البيانو لأبنائك ؟

لي ستّة أبناء. كلّهم موسيقيّون، و كلّهم موسيقيّون جيّدون. ولم يكن ذلك نتيجة تلقيني إياهم الموسيقى وإنما لأنهم شغفون حقّا بها. صحيح أن الجوّ العام في المنزل ساهم في ذلك. لقد عزفت مع شوشيتو ومع ابنتي ليانيس وهي عازفة بيانو ممتازة وحاصلة على شهادات من إيطاليا ومن كوبا وهي تؤلّف وتعزف بشكل رائع. أما أميلو فهو عازف آلات إيقاع، ويوسي درس إدارة الجوقة ومختص في آلات الإيقاع أيضا، وكذلك جيسي. والابن الأصغر، جوليان، وعمره عشر سنوات، فقد قمت بتلقينه درسا منذ حين.

في عصر الرقمنة والموسيقى الإلكترونية، كيف يُمكن حثّ الشباب على مواصلة تعاطي الجاز؟

منذ عهد "إيراكير"، وهي أول فرقة أنشأتها في الستينيات، وإلى اليوم، عملت بالتعاون مع كل المواهب الجديدة. فالإلكترونية والحاسوب يُمثّلان بالنسبة لي القرن الحادي والعشرين، ولقد ساعدت هذه التقنيات العديد من الموسيقيين على استعمال برامج تُسهّل كثيرا التنسيق بين الآلات وتوزيع المقاطع، وهو شيء أصبح اليوم أيسر بكثير ممّا كان عليه في سنوات 1950. فالجيل الجديد مُتمكّن جدا من التقنيات الحديثة، وأنا مُتأكد من أنها مُفيدة جدا. وفي ذلك يكمن المستقبل.

وُلد "**ديونيزيو جيزو فالديز رودريجاز**"، شُهر "شوشو"، سنة 1941 في كيفيكان (كوبا). وهو حاصل على ستّة جوائز "غرامي" وثلاثة "غرامي لاتينوس". عازف بيانو ومُنسّق وقائد أوركسترا. سجّل ما يزيد عن 90 ألبوما وساهم في أكثر من 50 آخرين، نذكر منها "لوتشومي" (1986)، "سولو بيانو" (1991)، "بيانيسسيمو" (1997)، "بابالو آي" (1999)، "بوليروس إينيغواليبلوس" (2000) و"بردر فري" (2013). وهو ابن بيبو فالديز الذي كان أيضا عازف بيانو للجاز الإفريقي-الكوبي.

أنظر إليّ، فأنا جميلة !

"أستير والأمومة"، صورة للفنانة باتريسيا ويلوك.

© Patricia Willocq
http://www.patriciawillocq.com

تمّ إختيار هذه الصورة كأفضل صورة في العالم حول محور السّلام، وهي جزء من مجموعة بعنوان "أنظر إليّ، فأنا جميلة !"، مؤلفة من خمس عشرة صورة التقطتها باتريسيا ويلوك (بلجيكا)، الفائزة بجائزة ألفريد فريد الدولية للتصوير لعام 2015.

وتصفُ هذه المجموعة حياة فتاة صغيرة أنجبت بعد أن ذهبت ضحية عمليّة إغتصاب. وتعرض الصور جميع المراحل الهامة التي مرّت بها الفتاة في حياتها: ولادتها، وخطواتها الأولى، ويومها الأول في المدرسة، وزفافها، ويومها الأول كأم، الخ.

وأطلقت باتريسيا إسم "إستيرْ" على الفتاة، واختارت مدينة "غوما" مكانا لولادتها وهي مدينة في جمهورية كونغو الديمقراطية تشهد جرائم حرب وحالات عنف جنسي مريعة منذ تسعينات القرن الماضي. وتحتلّ "إستيرْ" المرتبة الأولى في كلّ الصّور :نشاهدها وهي تنمو شيئا فشيئا، محاطة دومًا برجال يدعمونها ويحمونها. وحقيقة الأمر أنّ هؤلاء الرجال هم الجلّادون المتسبّبون في معاناتها إلاّ أنّهم يظهرون في الصور وكأنّهم يحمونها، ويمنحونها الحبّ الذي تستحقه، ويصونون كرامتها.

وجميع الأطفال المعروضين في الصور هم فعلًا ثمرة عمليّات إغتصاب، كما أنّ جميع النّساء قد تعرّضن للاستغلال الجنسي. وتعمَّدت باتريسيا إخراج صُورِها إخراجا مسرحيّاً إلى حدٍّ أنّها أصبحت مزعجة ومبتذلة. إلاّ أنّ هذا المنهج الجريء مدروس ويُقصد به إستفزاز الملاحظين. و المُراد من ذلك الإخراج المسرحي المثالي المفعم بالثياب الملوّنة وبالإبتسامات الفرحة، أن يعيد لهؤلاء النساء كرامتهن ويعزّز ثقتهن بأنفسهن.

وقد علّلت لجنة التحكيم قرارها بكون «المجموعة بمثابة قصّة من قصص الخيال الأفريقية يتحوّل فيها الجلاّد إلى مُنقذ، ويتغلّب فيها الخير على الشر. وفيها إيحاء بنمط حياة جيّد، يضمن الحق في الطفولة، والتّربية، والعمل، والأسرة وتحقيق الذّات. ولا تبعث هذه الصور على الحزن، إنّما هي صرخة إنسانيّة مدويّة مفادها أنّ السلام يعني بشكل أساسي التسامح والإحترام والتقدير».

هذه الصفحة مساهمة من "رسالة اليونسكو" في إحياء اليوم الدّولي للقضاء على العنف الجنسي في حالات النزاع (19 يونيو 2017).

تكوين القضاة عن طريق الإنترنت لحماية الصحفيين

تمّ إنشاء شبكة للتدريب عبر الإنترنت، خصّيصا لقضاة أمريكا اللاتينية، لتمرينهم على تعزيز حرية التعبير وحمايتها، ولطلب مساعدتهم للحد من المخاطر التي يُواجهها الصحفيون في المنطقة. ويتمحور اليوم العالمي لحرية الصحافة المُحتفل به يوم 3 مايو حول موضوع "فكر نقدي في زمن حرِج". وهل هناك وسيلة لتكوين الفكر النقدي أفضل من تدريس حرية التعبير لحماة النظام القضائي ؟

روزنتال كالمون ألفيز

خلال الندوة التي نظّمتها اليونسكو في كوستاريكا في شهر مايو 2013، بمناسبة الذكرى العشرين لليوم العالمي لحرية الصحافة، عبّرتُ لفرانك لارو، المُقرر الخاص للأمم المتحدة المكلّف بتعزيز وحماية الحق في حرية الفكر والتعبير، عن حماسي للدروس المفتوحة للجميع عبر الإنترنت. وقد بدأ هذا التكوين، وهو مفتوح للجميع مجانا، ولا تتقيّد فيه المشاركة بأية حدود، يتطوّر منذ سنة 2012. وكنت قد ساهمتُ في ذلك الحين في بعث أوّل برنامج عالمي لشبكة التدريب عبر الإنترنت في مجال الصحافة في "مركز نايت للصحافة في أمريكا" التابع لجامعة تكساس بأوستن. و بعد بِضع دورات تدريبية، توصّلنا إلى بلوغ الآلاف من الصحفيين عبر العالم، وفّرنا لهم تكوينا لاقتناء كفاءات ذات المستوى العالي، ما كانوا ليحصلوا عليها بوسائل أخرى. وقد بلغ عددهم اليوم 100.000 منتفع.

وبعد "نشوتنا" بهذه الطريقة "الساحرة" لإقتناء العلوم بكلّ حرية، لا سيما في مجال الصحافة، التي وفّرتها شبكة التدريب عبر الإنترنت في كافة أنحاء العالم، انتقلنا، أنا وفرانك لارو، إلى التفكير في سؤال مثير شغل ندوة اليونسكو: كيف نضع حدّا لتواصل الإفلات من العقاب، في الجرائم المُقترفة ضد الصحفيين؟

ذلك أن الإفلات من العقاب الذي يتمتّع به قاتلو الصحفيين والمعتدون عليهم هو جرح عميق تتألّم منه العديد من دول أمريكا اللاتينية. وحسب معطيات اليونسكو المنشورة سنة 2016، لم يتعدّ الكشف عن حقيقة إغتيالات الصحفيين في أمريكا اللاتينية وفي الكاراييب، في السنوات العشر الأخيرة، نسبة 11 % من مجمل تلك الإغتيالات. هذا الإفلات من العقاب، كما يُلاحظ العديد من خبراء المنطقة، هو بمثابة الدعوة للمزيد من ممارسة العنف ضد الصحفيين.

وقد صنّفت هيئة حماية الصحفيين، في السنوات الأخيرة، كلّا من البرازيل والمكسيك وكولمبيا من بين الدول التي اقتُرِف فيها أكبر عدد من الاغتيالات ضد الصحفيين خلال ممارستهم لعملهم، بل أن الهيئة ذهبت إلى أبعد من ذلك، إذ وضعت هذه الدول في مقدّمة المؤشّر العالمي للإفلات من العقاب، وهو ترتيب للدول من حيث نسبة إفلات القتلة من قبضة العدالة.

وتساءلنا عن مدى إمكانية استعمال شبكات التدريب عبر الإنترنت كسلاح ضد العنف المُسلّط على الصحفيين في المنطقة. هل بإمكانها تكوين القضاة في قضايا حرية التعبير وحماية الصحفيين؟

© UNESCO / Marc James

حلم يتحقق

وقد شاركتنا حماسنا كاتالينا بوتيرو، وكانت آنذاك المقررة الخاصة حول حرية التعبير في اللجنة الأمريكية المشتركة لحقوق الإنسان، ومن بين المشاركين في ندوة اليونسكو في كوستاريكا. وسرعان ما التحق بنا جيلارم كانيلا جودوا، مستشار اليونسكو للاتصال والإعلام في منطقة "مركوسور" (الأرجنتين والبرازيل والباراغواي والأورغواي) بالإضافة إلى شيلي. ومعا، قررنا تحقيق حلمنا وبعث شبكة مفتوحة للتدريب عبر الإنترنت مُوجّهة للقضاء.

وتمّ توجيه درسا عبر هذه الشبكة بعنوان "الإطار القانوني الدولي لحرية التعبير وللوصول إلى المعلومة ولحماية الصحفيين"، انتفع به أكثر من 3000 شخص بين قضاة وموظفين يعملون في سلك القضاء في أمريكا اللاتينية، وهو ثمرة تعاون بين اليونسكو واللجنة الأمريكية المشتركة لحقوق الإنسان ومركز "نايت"، مُوجّه إلى كافة دول أمريكا اللاتينية، باستثناء كوبا.

ويشغل فرانك لارو اليوم خطة نائب المدير العام للاتصال والإعلام باليونسكو، وأما كاتالينا بوتيرو فهي عميدة كلية الحقوق بجامعة لوس أنجلس في بوغوتا بكولمبيا، مسقط رأسها. وقد تولّيا، بمعيّة أيديسون لانزا، المقرر الخاص لحرية التعبير في اللجنة الأمريكية المشتركة لحقوق الإنسان، إصدار الحلقة الخامسة للدروس المفتوحة للجميع عبر الإنترنت حول حرية التعبير، بعد تنقيحها وتطويرها، لفتحِها على الخط يوم 8 مايو 2017، بعد أيام قليلة من ندوة تُنظّمها اليونسكو في جاكارتا (أندونيسيا)، في إطار اليوم العالمي لحرية الصحافة.

وقد تمّ تصميم هذه الدروس وفقا لنموذج التكوين الصحفي المستعمل من قبل مركز "نايت". وحيث أنها تُعطَى بشكل غير مُتزامن، فإنها تسمح لكل طالب بالعمل في الأيام وفي الساعات التي تُناسبه، خلال فترة التكوين الممتدّة على ستّة أسابيع من 8 مايو إلى 10 يونيو 2017. وتحتوي كل وحدة تكوينية أسبوعية على مجموعة من الدروس المُسجّلة بالفيديو، وأدوات للقراءة ومنتديات، ينطلق منها الطلبة لمناقشة موضوع ما، ويُجيبون على الأسئلة التي يطرحها المُدرّسون. وتُمنح شهادة لكل من أنجز تكوينه بنجاح.

تحسّس الطريق

كان البرنامج الرائد، الذي بُعث في خريف 2014 بفضل دعم مالي من البرنامج العالمي لتطوير الاتصال التابع لليونسكو، مُوجّها حصريا للقضاة وللعاملين في السلك القضائي في المكسيك. كنّا نتحسّس الطريق ونجهل تماما ما يمكن أن تكون ردّة فعل القضاة المكسيكيين.

وقد تجاوزت ردة الفعل كل توقعاتنا: وصلنا أكثر من 1000 طلب للمشاركة في الدروس المفتوحة عبر الإنترنت، وأحرز على الشهادة ما لا يقلّ عن 932 من قضاة، وحُكّام، ونواب

عموميين، وكتاب محاكم، وموظفين آخرين يعملون في المجال العدلي في المكسيك. ويعود الفضل في هذا النجاح الباهر إلى دعم المحكمة العليا المكسيكية. وتيقّنّا أننا قد سلكنا الطريق الصحيح باختيار المنهج الرقمي لتوفير تكوين جيّد، تكون فيه النسبة بين التكلفة والمرابيح مناسبة، بالمقارنة مع الدروس التقليدية الحضورية.

وحيث أن هذه الطريقة الرائدة كانت مُوجّهة إلى النظام العدلي المكسيكي، طلبنا من ميغال راباغو، الأستاذ بمدرسة الحقوق في جامعة "أيبروأمريكانا" في مكسيكو، تدريس مادة التشريع المكسيكي المتعلق بحرية التعبير. كما تمّ تكليف مارغاريتا توريس، التي تُدرّس الصحافة في نفس الجامعة، بتحكيم النقاشات وتيسير الاتصال بين الطلبة والمُدرّسين.

وبعد نجاح الاختبارين في المكسيك-أحدهما على المستوى الوطني والثاني في إقليم كواهويلا- أطلقنا برنامجا موجّها للقضاة في كامل منطقة أمريكا اللاتينية في خريف 2015. وقد ساندت المشروع الحكومة السويدية، تمّ التحق بها كل من الشبكة الإيبيرية-الأمريكية لمدارس القضاء والمجلس الأعلى القضائي الإيبيري-الأمريكي، ممّا مكّن 1200 مشارك من الانتفاع بالبرنامج.

نجدة المُدرّبين

في السنة الموالية، تمّ بعث الدورة الثانية للدروس، مع انتهاج طريقة أكثر صرامة في انتقاء المشاركين، تُعطي الأولوية للقضاة. والجديد في هذه الدورة، التي شارك فيها 624 قاضيا، هو تكليف فريق من المُدرّبين، وهم محامون أتوا من مناطق مختلفة من أمريكا اللاتينية، بتسيير الدروس، بعد أن تمّ تكوينهم خصّيصا من طرف كاتالينا بوتيرو. ويتمثل دور المدربين بالخصوص في قيادة نشاطات منتديات الحوار، وهي جوهر الدروس، وفي الإجابة على أسئلة الطلبة ذات الصبغة القانونية. كما تمّ التجديد على مستوى آخر، يتمثّل في تجزئة المنتديات حسب الجهات أو حسب الدول، وفي ذلك تسهيل للنقاشات ولعرض الحالات الخاصّة ولبسط المراجع. وكان المُدرّبون على قدر من الكفاءة مكّنهم من العمل مُجدّدا ضمن برنامج التكوين لسنة 2017.

وكما هو معمول به في كافة مشاريع التكوين عن بعد لمركز "نايت"، تمّت دعوة الطلبة إلى تقييم محتوى الدروس المفتوحة وطريقة تأطيرها. وكانت ردود الفعل إلى حد الآن إيجابية جدا، مع نسب مُرتفعة للرضا سواء في ما يتعلّق بالدروس، أو باستعمال المنصة، أو بالمُدرسين والمُدرّبين.

يقول أحد الطلبة: «لقد غيّرت هذه الدروس نظرتي حول وجوب الحفاظ على الحق في حرية التعبير وحمايته». كما اعترف أحد قضاة محكمة التعقيب، الذي تابع الدروس سنة 2016، بأنها «فتحت له آفاقا واسعة حول الموضوع (حرية التعبير)» وسمحت له «بمزيد الوعي بأهميتها على المستوى العالمي، لأنها فعلا وسيلة أساسية لدعم دولة القانون في مجتمع ديمقراطي. فلقد تغيّر مستوى إدراكي لهذا الموضوع، وسيُؤثّر ذلك على قراراتي كقاض في محكمة التعقيب». وبعد أربع سنوات من ندوة كوستاريكا، تبقى أمريكا اللاتينية واحدة من أكثر المناطق خطورة على الصحفيين في العالم. إلا أننا نسجّل تزايدا مستمرّا لعدد القضاة المشاركين في التدرّب على التشريعات الدولية في مجال حرية التعبير والحصول على المعلومة وحماية الصحفيين. وتعتبر الدروس المفتوحة عبر الإنترنت نموذجا للعمل الملموس الكفيل بالمساهمة في استيعاب أفضل للمسائل المُتّصلة بحرية التعبير في المنطقة.

الأستاذ **روزنتال كالمون ألفيز** هو رائد الصحافة عبر شبكة الإنترنت في البرازيل، مسقط رأسه. وهو المدير المُؤسّس لمركز "نايت للصحافة في أمريكا"، برنامج للتكوين عن بعد يقدّم المساعدة لآلاف الصحفيين عبر العالم. ألفيز حاصل على كرسي "نايت" للصحافة العالمية بجامعة تكساس في أوستن حيث شغل أيضا كرسي اليونسكو في الاتصال من 2004 إلى 2006. كما ترأس شبكة "أوربيكوم" الدولية لكراسي اليونسكو في مجال الاتصال.

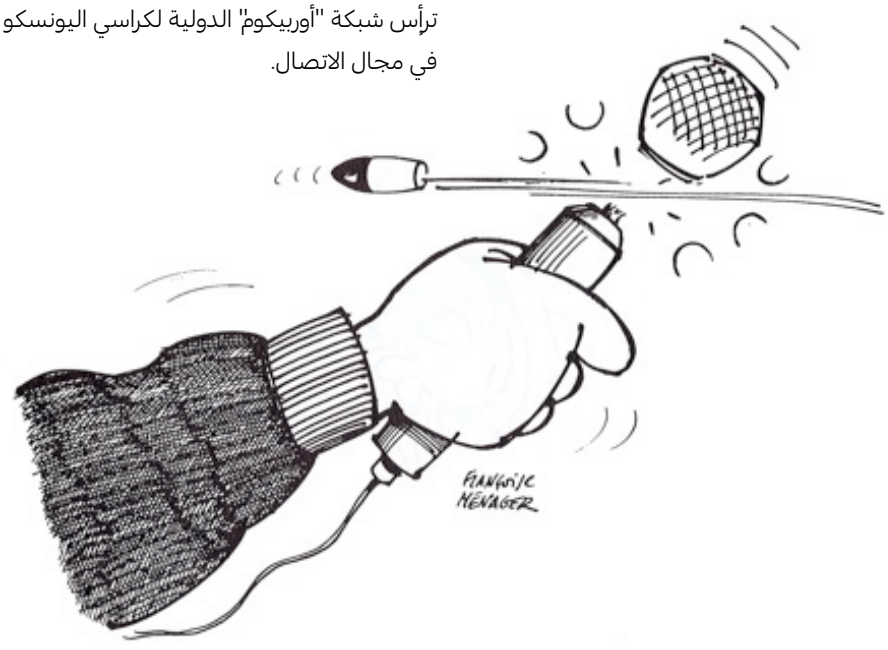

© Françoise Ménager / Iconovox

كشفاً عن أسرار المحيطات

يعتبر شين تاني أنّ المعلومات التي نملكها عن طوبوغرافية كوكب المريخ أكثر من تلك التي نملكها عن قاع البحار على كوكب الأرض، في حين أنّ المحيطات تؤثر في حياتنا اليومية أكثر بكثير من سطح كوكب المريخ. وها نحن اليوم قد امتلكنا القدرة على وضع خرائط دقيقة ومفصّلة للمساحات البحرية في العالم، وهي عنصر حاسم في إدارة موارد الصيد البحري والتغيّرات البيئية، وفهم تنقل المواد الراسبة، والتحسّب لوقوع أمواج التسونامي، والتعدين وغيرها من القطاعات.

شين تاني

إنّ المعلومات التي نملكها عن طوبوغرافية كوكب المريخ أكثر من تلك التي نملكها عن قاع البحار على كوكب الأرض. ويعود هذا القصور المعرفي أساسا إلى أنه تمّ توفير التمويلات لاستكشاف سطوح كواكب أخرى بسهولة أكبر، وكذلك إلى صعوبة رسم خرائط للمواقع المغمورة بالمياه، لا سيما في الأعماق الهائلة.

من خصائص الماء أنه يمتصّ الضوء، ويعكسه، ويكسر شعاعه، فتصعب الرؤية عبر الوسائط البصرية إذا فاقت المسافة بِضع عشرات الأمتار. ولم توضع بعدُ خرائط ملائمة لمساحات شاسعة من المحيطات، وبالخصوص في المناطق البعيدة عن السواحل وعن الحدود الوطنية. وتبقى الجهات البيئية مثل الصفائح الجليدية القطبية والمحيطات المكسوة بالجليد، مجهولة اليوم بقدر ما كانت أعماق المحيطات مجهولة بالنسبة للرواد في مجال وضع خرائط المحيطات، منذ أكثر من مئة عام.

لكن اليوم، مع ظهور إمكانية وضع الخرائط بواسطة الأقمار الصناعية، وباستعمال المسبار الصوتي متعدد الحزم، وبفضل التطوّرات المحرزة على صعيد الاستشعار عن بعد، أصبح بإمكاننا الولوج إلى مجموعة أوسع من التقنيات التي تتيح وضع خرائط دقيقة ومفصلة لقاع البحار على الصعيد العالمي.

كما نشهد تطوير تقنيات أخرى، مثل معرفة المساحة التطبيقية بواسطة الأقمار الصناعية، أو رسم الخرائط بالجاذبية. فمن خلال احتساب شذوذ الجاذبية، يمكن إبراز المرتفعات والتجويفات في أعماق البحار.

لكنّ كل هذا يتطلّب توفير الوقت والموارد المالية والتنسيق. وتقع، بشكل خاص، على عاتق المجتمع العلمي مسؤولية إحاطة الرّأي العام وهيئات التمويل بأهمّية قياس عمق المياه ودراسة طوبوغرافية قاع البحار، وتحسيسهم بضرورة إيلائها المزيد من الاهتمام.

وقد سُجّلت تطورات عديدة في هذا الميدان. ففي إطار المنتدى المنعقد في موناكو في يونيو 2016، حول موضوع الخريطة المستقبلية لقاع البحار،

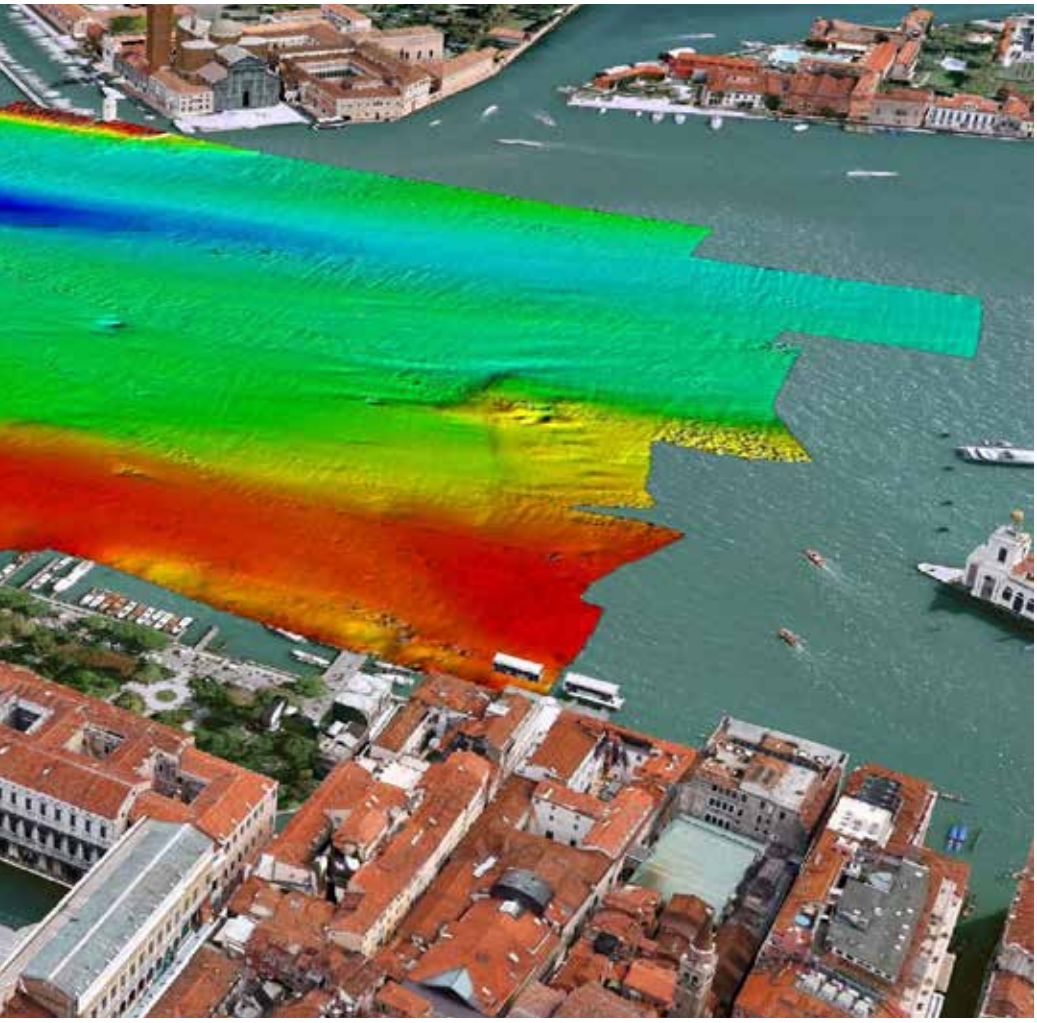

قياس الأعماق في المياه قليلة العمق بمدينة البندقية، إيطاليا 2011

أعلن يوهي ساساكاوا، رئيس "النيبون فاونديشن"، وهي أكبر مؤسسة خاصة في اليابان تتولى منذ زمن بعيد دعم القضايا الأساسية المتصلة بالبحار، أنه سيتم وضع خريطة لقاع البحار بأكملها بحلول عام 2030. وسوف ينفَّذ هذا العمل بالشراكة مع الخريطة العامة لأعماق المحيطات، وهو مشروع مشترك بين المنظمة الهيدروغرافية الدولية ولجنة اليونسكو الدولية الحكومية لعلوم المحيطات وبدعم من "النيبون فاونديشن".

ما الفائدة من قياس الأعماق

إنّ تبرير توفير موارد إضافية لوضع خريطة لقاع المحيطات ليس بالأمر الصعب: فالمحيطات هي مناطق جذّابة وعسيرة المنال تماما مثل بيئات أخرى على كوكب الأرض أو في الكون، أو ربما أكثر منها، نظرا إلى الكم الوافر من الاكتشافات المفيدة التي جرى تحقيقها خلال عمليات سبر المحيطات. فقد أظهرت التجارب السابقة أنّ المحيطات تخفي عديد المفاجآت. وإضافة إلى ذلك، فإنّ للمحيطات تأثيرا مباشرا على حياتنا اليومية يفوق تأثير سطح كوكب المريخ.

ولقياس الأعماق أهمية كبرى للملاحة البحرية وإدارة الشواطئ، كما له وظائف متعدّدة أخرى. فهو أساسي لدراسة سيلان المياه الجوفية، والمدّ والجزر، والتّحسب لوقوع أمواج التسونامي، وصعود المياه الباردة من الأعماق، وموارد الصيد البحري، وتحرّكات الأمواج، وتنقّل الترسّبات، والتغيّرات البيئية، واستقرار المنحدرات، وتاريخ المحيطات في العصور القديمة، واختيار المواقع المناسبة لبناء الأرصفة، ومدّ الأسلاك والأنابيب وتثبيت ناعورات طاقة الرياح البحرية، ومعالجة النفايات، واستخراج المعادن، فضلا عن مجالات كثيرة أخرى.

وأما من الناحية التجاريّة، فالحجة الأكثر وضوحا هي الآتية: كلّما تطوّرت معارفنا حول قاع المحيطات، كلّما تمكّنا من إدارة البيئات البحرية إدارة ناجعة تضمن لأنشطة الصيد االبحري الإستدامة والإنتاج. وقياس الأعماق أساسي لفهمنا للأوساط البحرية الحيّة في المياه العميقة. كما أن معرفة المحيطات معرفة أفضل تساهم في جعل الصناعات المتعلّقة باستخراج الثروات الباطنية أكثر ضمانة ونجاعة.

إلاّ أن الفائدة من وضع خريطة لقاع المحيطات تتعدى بكثير الاعتبارات التجارية البحتة. ففي

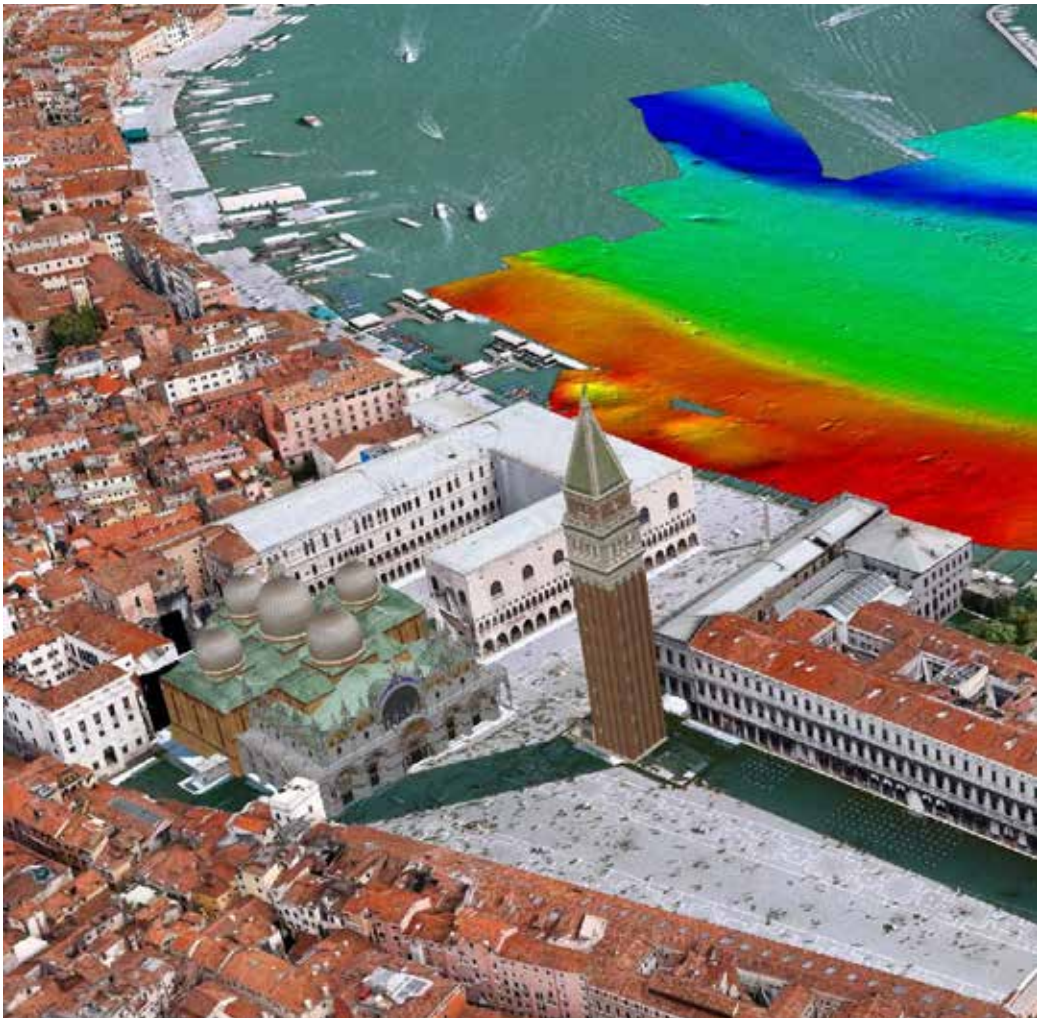

© Marizia Rovere

مجال دراسة أمواج التسونامي، مثلا، إذا تمكن العلماء من الإلمام بمعطيات أوفر حول تضاريس قاع البحار وأعماق المحيطات، فسوف تصبح التّوقعات لتحرّك كمّيات صخمة من المياه من جرّاء وقوع الزلازل، موثوقة أكثر. ويستلزم إعداد النماذج الخاصة بانتشار أمواج التسونامي قياسَ المياه في أعماق المحيطات وفي نفس الوقت وضعَ خريطة عالية الدقة للمناطق المحاذية للشواطئ حتى تتَبلوَر رؤية شاملة حول طريقة انتقال المياه من الأحواض العميقة إلى الأحواض السطحية، وحول تأثير ذلك على الشواطئ.

وإن كان وضع خريطة أفضل لقاع المحيطات لن يحسّن قدرتنا على توقّع حصول التسونامي، إذ أنّ هذه الأمواج تأتي نتيجة حوادث زلزالية، إلّا أنه قد يسمح بتزويدنا بمعلومات أوفر حول مسار هذه الأمواج وشدّتها.

تطوير فهم التغيرات البيئية

إنّ وضع خريطة لقاع المحيطات ضرورية أيضا لمتابعة التغيّرات البيئية والتّحسّب لها على المدى البعيد، نظرا لإنعكاساتها الهائلة على حياتنا. ونحن على علم بما يحدث من تغيّرات مناخية، وارتفاع في درجة حرارة المحيطات وتطوّر في التيارات البحرية. وإن كان النقاش لا زال متواصلا حول العلاقة المحتملة بين هذه الظواهر المختلفة، إلاّ أنّنا نعرف أنّها متواصلة وعلينا أن نواجه مخلّفاتها.

ومن الأمثلة الجيّدة التي تبيّن مدى إمكانية الإستفادة من علم قياس الأعماق، الأعمال المنجزة في المضائق البحرية الجليدية في غرينلاند وفي أنتاركتيكا، حيث توجد أغلبية ثلوج الأرض. فقد قمنا بقياس تدفق المياه الأعلى حرارة، باتجاه الأنهار الجليدية الباعثة للأغطية الجليدية في غرنيلاند وأنتاركتيكا، وبدأنا نلاحظ مفعوله. ويؤدّي هذا التدفّق إلى ذوبان الأنهار الجليدية، وانفصال ثلجي ضخم (حيث ينفصل جزء من الغطاء الجليدي)، وإنكسارات كثيفة، فضلا عن تراجع الأنهار الجليدية. وهي ظاهرة واضحة للعيان بشكل خاص في أماكن مثل نهر "ياكوبسهافن" الجليدي الواقع غرب غرينلاند، ونهر جزيرة باين الجليدي الواقع غرب أنتاركتيكا.

وتؤدي هذه الحوادث إلى تسريع حركة التيّارات التي تجفّف الأنهار والأغطية الجليدية، الأمر الذي يساهم بدوره في ارتفاع مستوى مياه البحر. ويصعب توقّع مدى ارتفاع مستوى مياه البحر ووتيرته، ذلك أنّنا نحتاج إلى أخذ أكبر عدد من العوامل بالاعتبار، لاسيما وتيرة ذوبان الجليد، حتى تكون التوقّعات موثوقة أكثر.

وقد يساعدنا قياس الأعماق على التعرّف على عمق مياه المضائق البحرية الجليدية والنقاط التي تتسلّل منها المياه الجوفية وتجري عبرها باتّجاه الأنهار الجليدية، أو من تحتها في حالة الأغطية الجليدية، إلاّ أنّ الخرائط التي وضعت لهذه المناطق ليست في المستوى المطلوب.

وفي بعض المضائق البحرية الجليدية، يكاد قياس الأعماق أن يكون منعدِما، وأمّا في المناطق الواقعة تحت الجروف الجليدية، فتُستَمدّ البيانات أساسا من بعض الإستطلاعات التجريبية المتفرّقة التي يتمّ إنجازها بواسطة مَراكب غوّاصة مستقلة. وسوف نتمكن، بفضل توفير الخرائط الملائمة لهذه المناطق، من فهم أفضل لعمليات في غاية التّعقيد.

ولا شكّ في أهمّية الفوائد الحاصلة من تحسين بيانات قياس الأعماق البحرية، إلّا أن وضع خرائط للمساحات المحيطية الشاسعة يبقى مشروطا بتأمين التنسيق والتعاون على الصعيد الدولي بين المجتمع العلمي، والمؤسسات، والصناعات البحرية.

شين تاني، نائب عميد في البحرية اليابانية وحاليا متقاعد، هو رئيس اللجنة التوجيهية لمشروع الخريطة العامة لأعماق المحيطات منذ أكتوبر 2013، وهي لجنة مشتركة بين المنظمة الهيدروغرافية الدولية ولجنة اليونسكو الدولية الحكومية لعلوم المحيطات. وقد ساهم شين تاني في تنفيذ هذا المشروع على مدى أكثر من 24 عاما. كما احتل منصب مستشار مكلّف بسياسة المحيطات لدى أمانة ديوان الحكومة اليابانية.

مسبار صوتي متعدّد الحزم ذو الدّقة العالية، تمّ تركيزه على متن المركب الشّراعي "إكسبلورر أوف سويدن"، خلال الرّحلة الإستكشافية "فيغا" 2013، في بحر غرينلاند.

© Martin Jacobsson

يُعقد مؤتمر الأمم المتحدة لدعم تحقيق الهدف 14 من أهداف التنمية المستدامة الذي ينص على "حفظ المحيطات والبحار والموارد البحرية واستخدامها على نحو مستدام لتحقيق التنمية المستدامة"، في مقرّ الأمم المتحدة في نيويورك، في الفترة من 5 إلى 9 يونيو 2017، وذلك بموازاة مع اليوم العالمي للمحيطات (8 يونيو).

حتّى يصبح الكتاب في متناول الجميع

كوناكري، عاصمة عالمية للكتاب لعام 2017

كومانتيو زينب ديالو

تمّت تسمية كوناكري عاصمة عالمية للكتاب لعام 2017، بتوصية من لجنة خبراء استشارية اجتمعت في مقرّ اليونسكو في باريس، فأصبحت بالتالي المدينة الـ 17 في العالم والثانية في إفريقيا التي تحمل هذه التسمية. وانتشر الخبر بسرعة البرق من العاصمة إلى أصغر قرية في غينيا! ويتناسب موعد إنطلاق برنامج الفعاليات مع اليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلف في 23 أبريل 2017.

وعموما، لاقى هذا الخبر الذي تناقلته وسائل الإعلام والإذاعات المجتمعية ترحيبا حماسيا، رغم أنّ البعض اعتبر أنّ الثقافة والكِتاب لا يشكلان أولوية بالنسبة للبلد، نظرا إلى الفقر المدقع الذي يعاني منه الشعب.

لكن كثيرون هم الذين يرون في هذه التسمية فرصة للتعريف بالثقافة الغينية على الساحة الدولية، وللإستفادة من المردودات الاقتصادية للحدث بفضل الأنشطة التي سيولّدها وعدد الزوّار. أمّا المقتنعون فيعتبرون أنّه سيشكل فرصة لإعادة إعطاء الكتاب والثقافة المكانة التي يستحقانها، وكذلك للتعريف بكتّاب مثل كامارا لاي (1928 - 1980) مؤلف كتاب "الولد الأسود" النابع عن سيرته الذاتية، وكيتا فوديبا (1921 - 1969) الكاتب، والموسيقار ومؤسس "الباليه الإفريقي". وبالنسبة للناشرين الغينيين، يمثّل هذا الحدث فرصة للتعريف بمنشوراتهم، ولملاقاة ناشرين آخرين ومؤلفين يُحتَمل التعاون معهم في المستقبل.

وقد التزم المؤلّفون، والناشرون، وأمناء المكتبات، وبائعو الكتب المستعملة، وأصحاب المطابع، والجامعيون، والصحفيون، وكذلك التلامذة والطلبة، أي باختصار، كل المعنيين بهذا الحدث، من أجل إنجاحه. وكانت وزارة الثقافة والرياضة والتّراث، التي تولي أهمية خاصة لهذا الحدث، قد حرصت على أن يُخصَّص له حيّز كبير خلال أيام التشاور الإقليمية لصياغة سياسة ثقافية لغينيا، التي تمّ تنظيمها في الأقاليم الأربعة للبلد من منتصف شهر نوفمبر وحتى منتصف شهر ديسمبر 2016.

وباشرت الهياكل المكلّفة بالترويج للكتاب والقراءة بالعمل. وفي إقليم لابي، تتعاون الهيئة الثقافية المحلية مع متحف فوتا ومركز نادي القلم الغيني الذي أنشأ أربعين ناديا مدرسيا مزوّدة بمكتبات ريفية، تقدم أنشطة حول الكتاب والقراءة.

وقد تمّ اختيار فضاءات لاحتضان الأنشطة في لابي، و هي ثاني مدينة في غينيا ومكان في غاية الأهمية من حيث عدد المؤلفين، والصحفيين، وأندية القراءة، والأندية المدرسية، والمكتبات. كما تمّ إقتراح نقل بعض الأنشطة من العاصمة إلى لابي، من بينها تقديم لائحة المؤلّفين أصيلي الجهة، وافتتاح أربعة أندية مدرسية جديدة تابعة لمركز نادي القلم الغيني، وتقديم البوم للصور الفوتوغرافية بعنوان "روائع فوتا" في مدرّج متحف المدينة، وعدّة منتديات في الجامعات والمدارس الثانوية حول الكتاب والقراءة.

وفي كوناكري، إزدانت الجدران بالملصقات ووزّعت كتيّبات في كلّ مكان. والأهم أنه تمّ تحديد مواقع في كل البلدات المجاورة لإقامة مكتبات سمعية بصرية ومراكز قراءة في الأحياء، وهنا يكمن الهدف الأساسي لهذا الحدث. إذ في الواقع، لا يمكن ترسيخ ثقافة القراءة إذا لم تكن الكتب متاحة وإذا لم تكن المكتبات متوفرة.

وسوف يسمح إنشاء المكتبات السمعية البصرية ومراكز القراءة بحث السكان المتعلّمين على القراءة، وبتشجيع تنمية قطاع نشر الكتب وتعزيز توزيعها، ووضعها في متناول التلامذة، والطلبة والمواطنين، حتّى يتمكّنوا من التمتّع بالقراءة في حياتهم اليومية. وفي نهاية المطاف، لِمَ لا نتصوّر إنشاء مكتبة سمعية بصرية ومراكز قراءة في كل

© Mohamed Kaba (Waoudesign) 2017

إقليم من أقاليم غينيا ؟ وذلك، لكي يتحقق أخيرا حلم جدّتي التي كانت ترغب، شأنها شأن كثيرات من نساء عصرها، في تزيين غرفة جلوسها برفوف تحوي كتبا بدلا من تلك التي تحوي تُحفا!

كومانتيو زينب ديالو (غينيا)، هي عضو مؤسس في جمعية المؤلفين في غينيا، وفي النادي الأدبي والفني " أمادو همباطي با"، ومؤسسة مركز "نادي القلم" في غينيا والمديرة العامة لمتحف "فوتا". وقد ألّفت عددا كبيرا من المسرحيات، والروايات، فضلا عن مجموعات من القصص والقصائد التي حصلت على جوائز.

برنامج مكثف

من بين الأنشطة المدرجة في البرنامج، نذكر:

- نقاشات حول الرهانات الحالية للكتاب والنشر في غينيا
- تعريف الجمهور ببعض المؤلفين الغينيين
- لقاءات بين مؤلفين غينيين ومؤلفين أجانب
- أيام مخصصة للآداب الأجنبية
- شهر الشعر، والقصص والأساطير، والقصص المصوّرة
- مهرجان "سلام"
- تكريم الكاتبين "كامارا لاي" و"وليام ساسين"
- شهر المرأة والفرانكوفونية والمسرح

الرياضة في خدمة السلام

يتمّ الإحتفال في كلّ عام، منذ سنة 2013، باليوم الدولي للرياضة من أجل التنمية والسلام الذي عيّنته الجمعية العامة للأمم المتحدة في السادس من أبريل.

تبرهن الإبتسامات النيّرة على بشائر هؤلاء الأطفال من منطقة ناقبور بالهند، على مدى قدرة الرياضة على منح فرحة الحياة وبعث الأمل. fr.unesco.org/sportvalues
© Unesco / Ashutosh Sharma

ولا حاجة لإقامة الدليل على إسهامات النشاط البدني في مردودية التعليم، والتنمية البشرية، واعتماد أنماط عيش صحيّة. ففي ما يتعلّق بالصحة مثلا، من المعلوم أنّ الجلوس مطوّلا وعدم الحراك يتسبّبان بنسبة 6% من أمراض القلب التاجي، وبنسبة 7% من حالات السكّري النمط الثاني، وبنسبة 10% من أمراض سرطان الثدي وسرطان القولون. كما أن الأطفال الذين يمارسون نشاطا بدنيا هم أقل عرضة للتدخين، أو للإنغماس في ممارسات جنسية محفوفة بالمخاطر، أو لتعاطي المخدرات.

وتسهم الرياضة أيضا في إرساء السلام إذ لها دور جامع يتخطّى الحدود الجغرافية، والثقافية، والاجتماعية، ويجعل منها أداة قوية للترويج لمُثل عليا كالأخوّة، والتضامن، واللّاعنف، والتسامح، والعدالة. وتجمع الرياضة الشعوب حول قيم مشتركة وكونية ألا وهي الاحترام، والعمل الجماعي، والمساواة، والإنتظام، والجهد، والمثابرة، والصدق، والنزاهة، والروح الرياضية.

وما تحظى به الرياضة اليوم من دعم ودعاية، من خلال المسابقات والمباريات والألعاب، لم يسبق له مثيل. ولم تعد تُعتبَر ترفا بل أصبحت تشكّل استثمارا لا سيما في البلدان النامية.

وتقدّم اليونسكو مساعدتها وخبراتها للمنظمات غير الحكومية والدول الأعضاء التي ترغب في إعداد برامج إنمائية في مجال الرياضة، كما تساعدها في صياغة أو تعزيز نظمها الخاصة بالتربية البدنية. وتشارك اليونسكو مشاركة فعّالة في مكافحة المنشّطات وتؤدي دور أمانة اللجنة الحكومية الدولية للتربية البدنية والرياضة.

ويتيح إحياء هذا اليوم الدولي الفرصة لإعادة تأكيد أهمية الرياضة، ليس فقط بوصفها حقا من حقوق الإنسان يتعيّن احترامه، بل أيضا بوصفها عاملا من عوامل السلام على الساحة العالمية.

درء التطرّف في صفوف الشباب

إذا كانت شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي تُستخدَم لتحريض الشباب وتجنيدهم في المجموعات المتطرّفة، فإنّ درء هذه الظاهرة لا بدّ أن يمرّ عبر القنوات نفسها. هذه وجهة نظر حكومة كيبيك التي أعدّت مؤخرا استراتيجية ترتكز على ردّ الفعل بواسطة ترويج "رسائل مضادّة" على الشبكة. وقد تمّ إصدار هذا القرار إثر إنعقاد مؤتمر دولي نظمته كيبيك بالتعاون مع اليونسكو في أكتوبر 2016.

لقد بدأت ظاهرة التطرّف في صفوف الشباب تتفشّى وتهدّد أمن المواطنين في جميع أنحاء العالم تقريبا. وفي مايو 2017 يتولى لبنان عقد لقاء، بالتعاون مع اليونسكو، يجمع العديد من الخبراء، وممثلي المجتمع المدني، والموظفين، حول موضوع "الشباب وتقنيات الاتصال والمعلومات : نحو ردّ على التطرّف العنيف في الفضاء السيبيري" تحتضنه مدينة جبيل. وتُساعد اليونسكو الدول الأعضاء، بحكم انضمامها إلى خطة عمل الأمم المتحدة من أجل منع التطرّف العنيف التي أطلِقت سنة 2015، في صياغة استراتيجيات وقائية تسلّط الضوء على الحوار والتربية على المواطنة. و يتمّ توجيه برامج خاصة للشباب، منذ سنّ مبكرة، لتزويدهم بالوسائل اللّازمة كي يمارسوا حرية الخيار وحتى يصبحوا قوى للتغيير الإيجابي.

وتستند اليونسكو أيضا إلى وسائل الإعلام، والمسؤولين السياسيين، والباحثين، بهدف إيجاد التدابير الأكثر فاعلية لدرء ظاهرة التطرّف الباعثة على القلق والمتفشية على شبكة الإنترنت وفي الشارع على حد السواء، ومكافحتها.

«ميل كليكس !» : حتى لا نفقد ذكاءنا

© UNESCO

إذا أردنا اللعب، أو الحصول على المعلومات، أو القراءة، أو مشاهدة أشرطة الفيديو، أو الاستماع إلى الموسيقى، أو تبادل المحتويات، أو إنشاء علاقات مع الآخرين، فالوجهة هي نفسها لنا جميعا: شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الإجتماعي! وذلك من دون أن ندرك تأثير محتواها في حياتنا وفي نظرتنا إلى العالم، ومن دون أن نتأكد، في بعض الأحيان، من صحّته المعلومات المتداولة.

فعلينا إذا أن ننمّي مهارات جديدة مرتبطة بالدراية الإعلامية والمعلوماتية حتّي نستخدم الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي بصفة سليمة.

ولهذا السبب، أطلقت اليونسكو مبادرة "ميل كليكس"، وهو اسم مختصر باللغة الإنكليزية يجمع معاني "التفكير النقدي والإبداع، والتعليم ومحو الأمية، والحوار بين الثقافات، والمواطنة، والمعرفة، والاستدامة". وترمي هذه المبادرة إلى تعلّم كيفية تقييم المعلومات، وإيجاد مصادر موثوقة وتحديدها، وممارسة التفكير النقدي والإبداع.

وتستند مبادرة اليونسكو الجديدة هذه، المنفّذة حاليا باللغات الإنكليزية والبرتغالية والصربية، إلى شبكات التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك، وتويتر، وإنستغرام، لنشر النصائح والمعارف والموارد وتبادلها بهدف تشجيع المستخدمين على اكتساب هذه المهارات الإعلامية والمعلوماتية خلال تفاعلاتهم اليومية.

ويشرح ألتون غريزل، مسؤول البرنامج، قائلا: «نحن نرغب في إدراج مفهوم التعلّم والإلتزام، حتّى يتمكّن الجميع من التنقل [من موقع إلى آخر عبر الإنترنت]، بطريقة نقدية و ذكية». ويضيف : «يبقى هذا الإلتزام مرتبطا بسعي الأشخاص المتفاعلين لبناء السلام، وتعزيز التسامح والتنوّع والمساواة وحرّية التعبير».

وهذه دعوة للجميع إلى التّجوّل بذكاء عبر الشبكة، وإلى الانضمام إلى المجتمع العالمي المعني بمبادرة "ميل كليكس"!

زيارة شعب بحيرة الدب العظيم

تأوي محمية تسا توي للمحيط الحيوي، الواقع في الأقاليم الشمالية الغربية في كندا، شعب "ساهتوتو إين" أو "شعب بحيرة الدب العظيم" منذ زمن بعيد. وتضم المنطقة بحيرة الدب العظيم، وهي آخر بحيرة قطبية شمالية عذراء، جزء من حوضها المائي. ويعتاش شعب "ساهتوتو إين"، الذي يسكن الضفة الغربية للبحيرة، من الزراعة والسياحة.

وتُنتِج الطبيعة غير الملوّثة ومصايد الأسماك الصحية القائمة في محمية المحيط الحيوي هذهنظاما بيئيا فريدا من نوعه، فضلا عن توفر عدد كبير من الحيوانات، مثل الدببة الرمادية وغزلان الرنة والأيائل، في حوضها المائي. والمحافظة على سلامة هذا النظام ضرورية لمجتمع "ساهتوتو إين" وثقافته.

محميّة المحيط الحيوي في تسا تواي

© UNESCO / Patrick Kane

وأتى أربعة ممثّلين عن هذا المجتمع إلى باريس لتلاوة قضّتهم وعرض رؤيتهم، والنقاش حول استراتيجياتهم الأصلية لحماية هذه الأراضي المقدّسة، وأنماط الحياة التقليدية السائدة فيها، والاستخدام المستدام لأراضيها، وذلك في إطار ندوة نظمها كل من اللجنة الوطنية الكندية لليونسكو وبرنامج الإنسان والمحيط الحيوي وبرنامج اليونسكو لنظم المعارف المحلية والأصلية، في 3 أبريل في مقرّ المنظمة. وكانت فرصة جميلة لتبادل الأفكار والآراء.

الموارد التربوية الحرّة تنتشر

يشكل حصول الجميع على المعرفة وعلى تعليم جيد [الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة] شرطا أساسيا مسبقا لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية وإرساء الحوار بين الثقافات.
والموارد التربوية الحرّة توفّر إمكانية لا تُضاهى لتبادل المعارف وتعزيز القدرات. فالكتب، والبرامج، والدروس، وأشرطة الفيديو، والرسوم المتحركة، جميعها مواد تربوية تندرج في إطار الأملاك العامة أو تُنشر مع تراخيص حرّة تتيح استخدامها، وتبادلها، وإعادة نسخها، أوحتى تكييفها، بشرعية مطلقة.

وتساهم اليونسكو بقدر كبير، منذ حوالى خمسة عشر عاما، في إعداد الموارد التربوية الحرة، لا سيما من خلال تنظيم المنتدى العالمي الأول للموارد التربوية الحرة في عام 2002، والمؤتمر العالمي الأول للموارد التربوية الحرة في عام 2012. ومن جهة أخرى، توفّر اليونسكو منصة إلكترونية مفتوحة للتكوين والتدريب تضم أكثر من 10.000 مورد تربوي حرّ الإقتناء، مصمّم خصّيصا للمساعدة في التعليم والبحث.

وسوف يُعقد المؤتمر العالمي الثاني للموارد التربوية الحرة في الفترة من 18 إلى 20 سبتمبر2017، في ليوبليانا، سلوفينيا. وبهدف التحضير لهذا المؤتمر، تنظم "الكمنوالث للتعلّم"، بالشراكة مع اليونسكو وحكومة سلوفينيا، ستة اجتماعات إستشارية إقليمية، أوّلها في ماليزيا لآسيا [ديسمبر 2016]، والثاني في مالطا لأوروبا [فبراير 2017]، والثالث في قطر للشرق الأوسط وشمال أفريقيا [فبراير 2017]، والرابع في موريشيوس لإفريقيا [مارس 2017] والخامس في البرازيل للأمريكتين [أبريل 2017]، والسادس في نيوزيلندا للمحيط الهادئ [مايو 2017].

وتدور هذه المشاورات حول موضوع "الموارد التربوية الحرّة من أجل تعليم جيد ومنصف وشامل للجميع: من الالتزام إلى العمل"، والهدف منها قياس مدى تطبيق التوصيات الصادرة عن المؤتمر العالمي الأول في عام 2012، واستكشاف الاستراتيجيات والحلول الآيلة إلى إدراج الموارد التربوية الحرة ضمن السياسات الوطنية، وحثّ عدد أكبر من الحكومات على القيام بنشر المواد التربوية المعدّة بفضل الأموال العامة، بموجب رخص حرة.

كتب

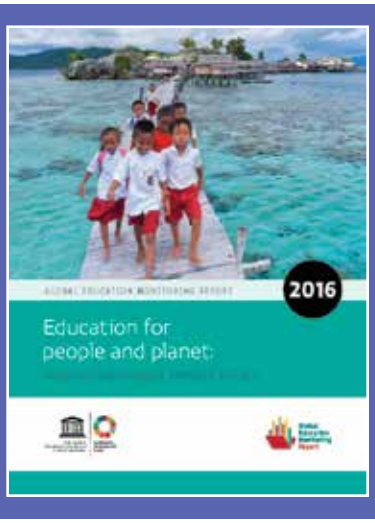

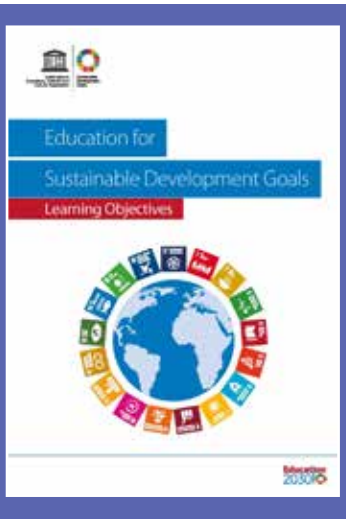

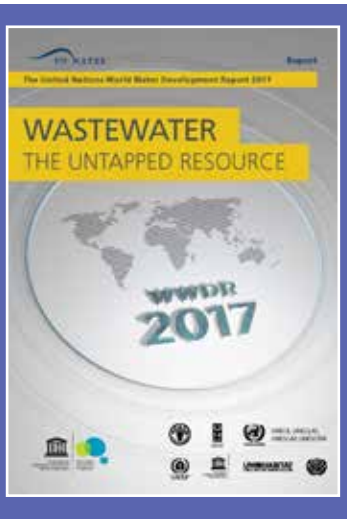

التقرير العالمي لرصد التعليم 2016

التعليم من أجل الإنسان والأرض : بناء مستقبل مستدام للجميع

ISBN 978-92-3-200111-5
526 صفحة، 28x21.5 سم
45 يورو

يبيّن التقرير العالمي لرصد التعليم لعام 2016، الصادر عن منظمة اليونسكو، أن للتعليم دور حاسم في دفع التقدم لبلوغ مجمل أهداف التنمية المستدامة المدرجة على جدول أعمال التنمية 2030. كما يبين أن الإضطلاع بهذا الدور يتطلب تغييرا جوهريا لمنظومة التعليم حتّى يصبح أداة فاعلة لمواجهة التحديات العالمية. فهناك حاجة أكيدة للتسريع في تطوير التعليم. وحسب الوتيرة الحالية، سنبلغ اتمام مرحلة التعليم الإبتدائي للجميع في 2042، والمرحلة المتوسطة في 2059، والثانوية في 2084. وهذا يعني ان العالم قد يسجل تأخيرا بربع قرن بالنسبة لموعد بلوغ أهداف التنمية المستدامة في موفى عام 2030 .

التعليم في اتجاه أهداف التنمية المستدامة

أهداف للتعلّم

ISBN 978-92-3-200116-0
62 صفحة، 29.7x21 سم
متاح على موقع
www.unesdoc.unesco.org

حتّى نتمكن من تحقيق عالم قابل للحياة، ومواجهة قضايا التنمية المنصوص عليها في أهداف التنمية المستدامة، يجب على كل فرد أن يصبح صانع التغيير باتجاه الإستدامة. ويستوجب ذلك الإلمام بالمعلومات، وبالمهارات، وبالقيم، وبالمواقف التي تمكّن كل فرد من المساهمة في التنمية المستدامة. وبالتالي، يكتسي التعليم أهمية قصوى لبلوغ أهداف التنمية المستدامة، وبصفة خاصة التعليم في اتجاه التنمية المستدامة، باعتبار أنه يوفر للمواطنين امكانية اتخاذ قرارات صحيحة وإجراءات عملية مسؤولة تضمن المحافظة على البيئة، والنمو الإقتصادي السليم والعدالة الإجتماعيةلصالح الأجيال الحالية والقادمة

تقرير منظمة الأمم المتحدة عن تنمية المياه في العالم

المياه المستخدمة : مورد غير مستغل

ISBN 978-92-3-2001153
184 صفحة، 29.7x21 سم
45 يورو

ماذا لو إعتبرنا الكميات الهائلة للمياه المستخدمة والناتجة عن النشاطات المنزلية والزراعية والصناعية، والتي تلقى يوميا في البيئة، كأحد الموارد الثمينة، عوضا عن النظر إليها كمشكلة مكلّفة ؟ هذه هي النقلة النوعية التي يدعو إليها تقرير منظمة الأمم المتحدة عن تنمية المياه في العالم. و يبيّن هذا التقرير أنه يمكن لمياه الصرف الصحي، بعد معالجتها، أن تثبت فعاليتها في تلبية الطلب المتزايد على المياه العذبة والموارد الأوّلية الأخرى. في عالم تتفاقم فيه الحاجة إلى المياه العذبة، وتتقلّص فيه الموارد المائية المحدودة بحكم الإستخراج المُفرِط، والتلوث والتغيّرات المناخية، يصبح تجاهل الفرص التي يوفّرها الاستغلال السليم للمياه المستخدمة غير معقول في سياق إقتصاد دائر.

ملف تعالجه رسالة اليونسكو في عددها المقبل

وسائل إعلام متشتّتة : جمهور مُحبط

أنباء خاطئة أو إعلام مغلوط عن قصد ؟

حدود غير واضحة بين الأحداث والآراء

عجز في أخلاقيات المهنية

صحافة مكتوبة في إنهيار مستمر

نموذج إقتصادي منتهي الصلوحية

تحدّيات متعدّدة لا بدّ للسلطة الرابعة من مواجهتها في عصر «ما بعد الحقيقة»

الصادر في يوليو 2017

الإشتراك في رسالة اليونسكو